رواية

الرحلة VVV
ميامي الدوحة

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

د.عبدالصمد العزاني

٢٧٠٥٢٩٩٣٢٠

© مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٦ هـ

العزائي، عبد الصمد
الرحلة ٧٧٧ (ميامي - الدوحة)./ عبد الصمد العزائي - ط١. .-
الدمام، ١٤٤٦ هـ
١٤٨ ص؛ ١٤ X ٢١ سم

رقم الإيداع: ١٠٢٧٤/ ١٤٤٦
ردمك: ٠-١٦-٨٤٩٩-٦٠٣-٩٧٨

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
aladabce@gmail.com

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

الرحلة ٧٧٧

(ميامي - الدوحة)

تأليف

د. عبد الصمد العزاني

AbdulsamadAlazz
abdulsamadalazzani

abdulsamadalazzani

Abdulsamad Alazzani

تصميم الغلاف

م. عبد الباقي العزاني

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

الإهداء

طلب مني كريم أن أكتب الإهداء على لسانه:

"إلى تلك الروح التي مرَّت في حياتي..

كانت رحلتنا مليئةً بالفصول المتناقضة، من لحظات الفرح العارم إلى الدروس المؤلمة. كتبت هذه الكلمات لتبقى شاهدة على ما مضى، ولأخلّد فيها الحكاية التي كان لها أثر عميق في مسار حياتي. في كل صفحة هناك صدًى لابتسامة عابرة، لحظة تأمل، ونبضات قلب تعلمت منها الكثير.

إلى من كانت سببًا في بناء هذه القصة، بشغفها وصمتها، بعطائها وغيابها. هذه الرواية تحمل ما لم يُقَلْ وما تبقى في الذاكرة، لكل لحظة تركت أثرًا، ولكل درب سلكناه معًا، مهما تباعدت بنا الطرق في النهاية".

هناك رواية مدفونة بين الضلوع، لم أجدّ الوقت والمزاج الكافيين لتحريك أوراقي. لكن ذات مساء، وبينما كنت في شقتي الواقعة في مدينة اللؤلؤة، حيث المارينا تتلألأ برونقها، والجَمال يتدفق من كل زاوية، كان هناك شيء مختلف. كل شيء حولي يغريني لأحِيل كل فكرة إلى حروف تنبض بالحياة.

ما بين ثنايا هذه الحروف تكمن قصة كنتُ فيها المستمع أحيانًا، والمحلِّل أحيانًا أخرى، وحينًا ثالثًا، المحاور الذي يسبر أغوار المشاعر والتفاصيل. تروي أحداثًا عاشها صديقي كريم.

كريم، ذلك الذي يعيش حياة عادية مع أصدقائه والناس المحيطين به، وحياة أخرى خاصة، فاخرة من نوع خاص. رجل يوازن بين العالمَين بمهارة فريدة. حاصل على شهادة الماجستير في التحليل المالي، وفي أمسياته الهادئة، يقضي وقته في مطاردة الأسهم في بورصات العالم، يراقب الأرقام وهي تتراقص أمام عينيه. يدير محفظتين استثماريتين، إحداهما في قطر والأخرى في أمريكا، ناهيك عن دوامه الصباحي في جهة حكومية، حيث يعمل مستشارًا في مجال الاستثمار، وهو مستثمر ملائكي في عدد من ريادة الأعمال التي يقودها شباب وشابات عصاميون قرَّروا إحداث تغيير في هذا العالم. شاب في منتصف الثلاثينيات، عميق الفكر، ذكوري في حضوره، مبدع في أفكاره، وشهم في مواقفه. ولعل الجانب الذي كنت أحسده عليه حقًّا هو جاذبيته الآسرة التي كانت تلفت الأنظار أينما ذهب.

بطل روايتنا يشبه بطل رواية (رسالة من امرأة مجهولة) للكاتب ستيفان زفايغ، حيث وصفت تلك الفتاة بطل روايتها:

"فقد كان فيك رجلان - شاب متقد مرح منصرف للهو والمغامرة، وفي الوقت ذاته، من جهة فنِّك، شخصية ذات جد صارم، وفيَّة للواجب، مثقفة ومهذبة للغاية.. هذه الازدواجية العميقة، سرُّ وجودك، أحسَّت بها صبية في الثالثة عشرة من عمرها، فتنت بك حد السِّحرِ من أول نظرة".

كريم، رغم جاذبيته وقوة شخصيته، كان مغلقًا سكة قلبه منذ زمن طويل، كمن يحمي نفسه من ألم محتمل أو خيبة متوقعة. لقد أحكم إغلاق الأبواب بإحكام، إلى أن أتت هي.. وبذكاء وقَّاد ومكرٍ رقيق، استطاعت أن تتلاعب بتلك الأقفال، أن تلامسها بخفة، وتفتحها ببطء، حتى وجد نفسه غارقًا في حب كبير، لم يكن يتوقع، لكنَّه حبٌّ من نوع معقد.

كريم، تلك الشخصية التي تجمع بين القوة والنعومة، بين الطموح والحنان. كريم ابن مدينة عظيمة، مدينة نجيبة وملهمة تسمى تعز. مدينة تشكلت في قلبه، وكلما ابتعد عنها، كانت تزداد تجذُّرًا فيه.

الرحلة 777 ميامي - الدوحة

رنّ هاتفي فجأة، كان كريم على الطرف الآخر، صوته محمّل بثقل لا يشبهه. قال لي: 'يجب أن تأتي الآن، لدي حكاية تحتاج إلى أن تُروى.' لم تكن مجرد دعوة؛ كانت أشبه بصرخة من أعماق قلبه. شعرت أن ما سأسمعه سيتجاوز حدود العادي، وسيكون بوابتي إلى عالم من الأسرار التي لم تُفتح بعد.

بدأت الحكاية في الحادي عشر من يناير 2024، بينما كنت أسير على شواطئ ويست بالم بيتش في فلوريدا، حيث الرمال تمتد ناعمة تحت قدمي، والمحيط يرسل رياحًا خفيفة تحمل نسائم عشق لا تُقاوم. كل شيء حولي كان يغري بالجمال، باذخًا في تفاصيله، يمينًا وشمالًا، أرضًا وسماءً. ومع ذلك، شعرتُ فجأة بانقباض في قلبي؛ حنين جارف يدفعني إلى العودة إلى الدوحة.

بلا تفكير، أمسكت هاتفي واتصلت بمركز خدمة العملاء التابع للخطوط الجوية المغربية. مرت دقائق طويلة من الانتظار، تجاوزت ربع ساعة، وكنت على وشك فقدان صبري، إلى أن التقطت المكالمة أخيرًا. جاءني صوتها، ناعمًا سلسًا، يقول: *"مرحبًا، معك زينة، كيف يمكنني مساعدتك؟ مُرني"*.

رغم استيائي من طول الانتظار، غمرني صوتها كالشلال المنحدر من أعالي غابة السنديان، يحمل أنوثة طاغية تتنقل بسلاسة بين الإنجليزية، العربية، وأحيانًا الفرنسية. للحظة، لم أستطع النطق. كان الصوت ساحرًا، وكأنه حب من أول نغمة. كما يُقال: "الأذن تعشق قبل العين أحيانًا".

كريم، الذي لطالما أطلق عليه أصدقاؤه لقب "ابن بطوطة" بسبب عشقه للسفر، وجد نفسه مفتونًا بصوت زينة.

تابع كريم بحماس: "بدأت أشرح لها حاجتي إلى تغيير الحجز والعودة إلى الدوحة، سألتني: سيدي الكريم، على أي درجة حجزك السابق؟ أعطيتها رقم الحجز، قالت: أووه، يا مراحب، أنت من عملائنا الذهبيين الذين يسافرون دومًا على درجة رجال الأعمال، وبينما كنت أتحدث، كنت أشعر بأنني أعرفها منذ زمن طويل. كانت تتحدث بثقة ولباقة وشيءٍ خفيٍّ لم أعرف ما هو. كنت أستمع إلى كل كلمة تقولها وكأنها لحن يأسرني. انتهت المكالمة بترتيب كل شيء، وحجزت لي على الرحلة 777 ميامي- الدوحة مرورًا بالرباط.

لكنني لم أستطع التوقف عن التفكير في زينة".

قال لي كريم: "هناك أصوات عندما تسمعها لأول مرة تشعر وكأنها تهزُّك من الأعماق، تأخذك إلى فضاءات بعيدة. سِحرٌ غريبٌ يمتزج بصوتها، لا أدري كيف استطاع ذلك الصوت أن يخترق أعمق زاوية في روحي، شعرت بدفئه وهو ينساب إلى سمعي".

بهذا، بدأت القصة، على بُعد آلاف الأميال.

أجدني أستعيد ذكرياتنا معًا في رحلة بين جاكرتا وصنعاء.

قلت له: كريم هل تذكر رحلتنا عام 2013 على متن الخطوط اليمنية؟ عندما تعرَّض محرك الطائرة لعطل وقضينا ساعات طويلة في مطار جاكرتا، وذلك الحوار الذي دار مع مضيفة الطيران.

قلت له: "نعم أتذكر عندما سألتها: من أين؟ قالت: أمازيغية، واكتفت بابتسامة!"

قلت له: هل تذكر حينها مقولتك المشهورة ونحن نقترب من صنعاء محلِّقين فوق صحراء الربع الخالي: "أن تتيه في صحراء الربع الخالي، فهناك احتمال كبير أن تنجو. لكن أن تتيه في عيون فتاة أمازيغية، فاقرأ على روحك السلام".

ابتسم كريم قائلًا: "منذ ذلك الحين، لم أكن أعلم أن تلك النبوءة ستتحقق يومًا، وأني سأقع فريسة لعيون أمازيغية"!

كريم دائم السفر ودائم الاتصال بمركز خدمة عملاء الخطوط المغربية والخطوط القطرية، لديه حدس خاص في تمييز الأصوات، كأنما يمتلك رادارًا يلتقط أدنى نغمة. صوت زينة لم يفارقه وهو في الطريق إلى مطار ميامي.

ظلّ يسأل في قرارة نفسه: "كيف الطريق إلى وصالك دُلّني؟ ."

أعرف كريم جيدًا، عندما يضع هدفًا نصب عينيه، لا يستسلم حتى يحققه، كالنهر الذي يشق طريقه بين الصخور ليصل إلى البحر. التحدي أمامه الآن هو كيفية الوصول إلى زينة. فكّر مرارًا، يتساءل كيف يمكن أن يتحول ذلك الصوت الدافئ إلى واقع ملموس.

في طريق عودته، جلس في مقعد رجال الأعمال، تحدق عيناه في النافذة، لكن عقله كان غارقًا في البحث عن حلول. خطرت له فكرة أن يسأل المضيفة عن زينة التي تعمل في مركز خدمة العملاء، لكنه سرعان ما أدرك أن الإجابات كانت غامضة، ومحاولاته بلا جدوى.

اللقاء الأول

"التقاء شخص لأول مرة يشبه فتح كتاب لم تقرأه من قبل. قد يكون الكتاب مملًا أو قد يكون رائعًا، لكنك لن تعرف حتى تبدأ بالقراءة". هاروكي موراكامي.

كريم، الذي كان يسعى بفارغ الصبر إلى معرفة المزيد عن تلك الفتاة الغامضة التي تواصل معها عبر مركز خدمة العملاء، خطرت له فكرة أن يرسل رسالة إلى الخطوط المغربية. أراد أن يبني علاقة، ولو حتى من بعيد، مع زينة. صاغ رسالته بذكاء، موجهًا شكرًا خاصًا لموظفة خدمة العملاء التي ساعدته بفاعلية في حل مشكلته وحجز رحلته بأسرع وقت. كانت رسالته مختصرة، ولكنها تحمل بين السطور رغبة في اكتشاف المزيد عنها.

مرَّ الوقت ببطء، وكانت الأيام تمر وكأنها تحمل على أكتافها ثقل الانتظار. أخيرًا، وبعد طول انتظار، وصلت رسالة من مركز خدمة العملاء. كان قلبه ينبض بحماس عندما فتح الرسالة، لكنها احتوت على معلومات محدودة جدًا نظرًا إلى سياسة الخصوصية، مجرد تأكيد للاسم "زينة..." مع لقبها الأخير، وأبلغوها، شكره.. كانت تلك المعلومات كلَّ ما حصل عليه. وعلى الرغم من بساطة تلك التفاصيل، شعر كريم بشيء غريب؛ كان الاسم وحده كافيًا ليشعل داخله رغبة أكبر في البحث.

استعان كريم بكل وسائل التواصل الاجتماعي التي يعرفها، محاولًا أن يجد خيطًا رفيعًا قد يقوده إلى زينة. لكن كانت جهوده دون جدوى. بدا وكأن الاسم الذي حصل عليه يختفي بين ملايين الأسماء الأخرى على وسائل التواصل. ومع كل محاولة بحث، كان يشعر باليأس يزحف ببطء نحو قلبه، وكأن الأمور تزداد تعقيدًا مع مرور الوقت.

لكن القدر، كعادته، كان يحرك الخيوط من وراء الكواليس. ما لم يكن كريم يتوقعه هو أن تلك السلسلة من الأحداث ستأخذ منحًى غير متوقع تمامًا. في يوم من الأيام، وأثناء دردشة عادية مع صديقة مقربة، أخبرها كريم عن رحلته الغريبة في البحث عن فتاة أحلامه، وكم أن الأمر أصعب مما كان يتخيل. صديقته، بسمة، كانت على دراية تامة بمتطلباته وشروطه الاستثنائية، وكيف أنه دائمًا يبحث عن امرأة تحمل صفات خاصة. كانت بسمة دائمًا تمازحه: صدقني سوف تقضي العمر هكذا دونما أحد، ومن تريدها ربما تلقاها في الجنة. يجب عليك أن تخفف من شروطك الاستثنائية يا صديقي.

حكى لصديقته ما حصل معه في أثناء حجزه للرحلة 777 خلال عودته من ميامي إلى الدوحة، وعن ذلك الصوت الدافئ الذي أخذ تفكيره. في تلك اللحظة الحاسمة، تذكرت بسمة أن لديها معرفة بصديقة تعمل في خطوط الطيران، وسوف تحاول أن تجد خيطًا يساعد في البحث. ظلَّ كريم فترة بين الانتظار والترقب والتفكير.

الأقدار دائمًا ما تجد طريقًا خفيًا لتسهيل الأمور، في صباح يوم جميل استقبل مكالمة من صديقته، أخبرته أن عددًا من موظفات الخطوط المغربية قدمن للعمل بالخطوط القطرية، وسوف يصلن قريبًا إلى الدوحة. عملية البحث شاقة كمن يبحث عن حصاة في كومة.

بعد أسبوع تقريبًا وصلته معلومة، أن الموظفات وصلن إلى الدوحة، وبطريقة ما استطاع معرفة أن بين القادمات، فتاة اسمها زينة.. قارن الاسم واللقب، لم يكن هناك شك، كانت زينة التي يبحث عنها كريم. وعلى الفور، انتفض قائمًا: "وجدتها!"

كانت تلك اللحظة بالنسبة إلى كريم كأنها شعاع نور اخترق عتمة البحث الطويل. كان يبحث في كل مكان، وبينما كاد يشعر باليأس، قدمت له الحياة هدية غير متوقعة عبر تلك المصادفة العجيبة. شعور الراحة والفرح اجتاحه، وكأن القدر لعب دوره بأناقة خفية، ورتب الأحداث بطريقة لطيفة لتوصله إلى زينة التي كانت طوال هذا الوقت على بُعد خطوة منه.

عندما وصلت إليه المعلومة، أصيب بالذهول. لم يكن يتوقع أن تتحقق أمانيه بهذا الشكل المدهش. كانت لحظة استثنائية، شعر فيها وكأن القدر ثم العالم تآمرا معًا لجمعهِ بزينة. كانت السعادة تفيض من قلبه، وبدأ يترقب الخطوة التالية للقاء زينة أخيرًا.

تم ترتيب اللقاء الأول بعد طول انتظار، كانت زينة مترددة في البداية، حيث إنها جديدة في الدوحة، وأيضًا لم تكن مستعدة بعد لخوض تجربة كهذه.

اتفقا على أن يكون ميناء الدوحة القديم محطة اللقاء، المكان الذي يعبق بذكريات الزمن الجميل، وكما قيل، سحر الميناء يكمن في تفاصيله.

كانت تلك الليلة تصادف أحد الأحداث الرياضية الكبرى التي تستضيفها دولة قطر في الآونة الأخيرة. كانت الأجواء مليئة بالإثارة والحماس، والألعاب النارية تضيء سماء الدوحة، وكأنها تحتفل بلقاء الحبيبين المنتظر.

مرَّ كريم لاصطحابها من سكنها، قلبه ينبض بمزيج غريب من التوتر والحماس، وكأن اللحظة تسبق نفسها. مرَّت الدقائق ثقيلة، كأنها ساعات من الانتظار، كل ثانية تحرقه أكثر. أخيرًا، رأى زينة تقترب بخطوات واثقة، ترتدي فستانًا أنيقًا بسيطًا يبرز جمالها الطبيعي، تتوشح بعباءة تضيف لمسة من الغموض. كان الوقت قبيل غروب يوم جمعة، والشمس على وشك الغياب، كأن السماء نفسها تتأمل هذا اللقاء المرتقب. للحظة، بدا الزمن وكأنه توقف.

كريم، الذي أمضى أيامًا في رسم صورة مثالية لها في مخيلته، وجد نفسه يواجه حقيقة أكثر واقعية، لكنها كانت تحاكي أو تقترب بشكل مدهش من تلك الصورة التي بناها في ذهنه.

وصلا إلى الميناء معًا، تزامن وصولهما مع بدء الألعاب النارية التي تملأ السماء بالألوان المتراقصة، وكأن الكون كله يرحب بقدومهما، يلقي عليهما بظلال من الحلم والخيال. انعكاس الأضواء على المياه الهادئة، وتصاميم الأبراج في منطقة الدفنة بدت وكأنها تحتضن الأفق، المشهد سريالي يبدو وكأنه خارج حدود الواقع.

تبادلا النظرات، نظرات مليئة بالدلال، وكل منهما يحاول إخفاء دهشته. كسرَ الصمت ضحكتها الخجول التي حملت معها شيئًا من السحر:

"لم أكن أتوقع أن يكون القدر لطيفًا إلى هذا الحد. " رد كريم، وعيناه تلمعان بالحنين والحسم: "لقد كانت رحلة طويلة... لكنني كنت واثقًا أني سوف

أجدك".

جلسا في السيارة، الهواء الخارجي يأتي محمّلًا بنسيم البحر. كانت الكلمات بينهما قليلة، لكنها مليئة بما هو غير مرئي؛ وتوتر خفي يتسلل بين الحروف.

زينة نظرت إلى الأبراج التي تحيط بالميناء، تأملت قليلًا ثم همست بصوت مليء بالغموض:

"أحيانًا، أعتقد أن الحياة تأخذنا في اتجاهات لا نفهمها.. لكن هنا، الآن، أشعر وكأنني أعود إلى نفسي".

كريم، دون أن يفكر، اقترب منها بلطف، وكأن كل كلمة قالتها كانت تعيده خطوة نحو نفسه، نحو الحلم الذي طالما سعى خلفه.

سألها عن حياتها.

حكت له زينة عن عملها، وأشياء أخرى. تبادلا القصص والأحلام، والضحكات، وكأنهما يعرفان بعضهما بعضًا منذ سنوات. كان القدر قد رسم لهما طريقًا لا يعرفان إلى أين سيقودهما.

كانت تلك الليلة بداية قصة كبيرة، قصة جمعت بين قلبين كانا يبحثان عن بعضهما في هذا العالم الكبير. وتحت سماء الدوحة المرصعة بالنجوم والألعاب النارية، بدأت فصول جديدة تكتب في حكاية كريم وزينة.

بينما كانت الألعاب النارية تضيء سماء الدوحة بألوانها الزاهية، قفزت إلى خياله فكرة جريئة، فكرة مجنونة لا تخلو من طرافة وتحدٍّ. ابتسم كريم، وبعينين تلمعان بالحماس، قال لزينة: "لدي فكرة تحدٍّ. إذا كانت الدفعة القادمة من الألعاب النارية تحمل اللون الأزرق الفاتح (لونه المفضل)، فسأطلب منك طلبًا ويجب عليكِ تنفيذه. وإن كان لونًا آخر، يمكنك أن تطلبي ما تشائين وسأنفذ".

نظرت إليه زينة بدهشة ممزوجة بالضحك، وسألت: "وما الطلب؟" رد كريم بابتسامة غامضة: "لا يمكنني أن أخبرك الآن، علينا أن ننتظر ونرى". ارتفعت دقات قلبيهما معًا، بينما كانت الأضواء تتراقص في السماء. كان الهواء مشبعًا بالترقب والإثارة. وفي تلك اللحظة، بدأت دفعة جديدة من الألعاب النارية تتفجر في السماء، تملأ الأفق بألوانها البراقة.

تسارعت الأنفاس وانتظرت العيون بلهفة. وفي لحظة سحرية، انبثق اللون الأزرق الفاتح بين النجوم النارية، وكأنه يعلن بداية فصل جديد في حياتهما. ضحكت زينة وقالت: "يبدو أن الحظ قد وقف إلى جانبك، يا كريم". قال لها: نعم، منذ أن استقبلتِ مكالمتي ذلك المساء، أيقنتُ أن "حظي الليلة كريم" كما غنّاها محمد عبده. انحنى كريم نحوها بلطف، ثم قال بجدية تحمل بين سطورها مشاعر عميقة: "طلبي هو أن تقبلي أن نخوض معًا رحلة تعارف جادة. أريد أن أتعرف عليك أكثر، وأن نبني معًا علاقة تؤدي إلى شيء أكبر وأعمق". كان خجولًا كما أنه يحب البدايات اللطيفة.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام، شعرت بأن القدر جمعهما في تلك اللحظة تحديدًا ليبدأا حياة جديدة معًا.

بكل حبٍّ وتردد، قالت: "أقبل".

وفي تلك اللحظة، تعالت الألعاب النارية أكثر وأكثر، وكأنها تحتفل بقرارهما. كانت السماء بألوانها وأصواتها شاهدة على بداية قصة جديدة، مليئة بالشغف والإثارة، قصة ستبقى في ذاكرتهما مدى الحياة.

أخبريني أكثر عن زينة

"إن الروح التي تلتزم الصمت أحيانًا تحمل بين طياتها أعظم الحكايات، تلك التي لا تُروى بالكلمات، بل تُكتشف بعمق التأمل". - إليف شفق.

اقترح كريم أن يكون اللقاء القادم في أحد المطاعم الفاخرة، وذهبا معًا إلى ذلك المطعم، في تلك الليلة لم يكن المطعم مزدحمًا، بل كانت تلك الليلة من الأمسيات الهادئة، وكعادة الأضواء المصممة بدقة في المطاعم الفاخرة، كانت تغمر المكان برومانسية ناعمة، كان المطعم على الكورنيش مباشرة. الهواء كان يحمل معه نسمات لطيفة، بينما كان صوت الموج الخفيف يهمس بهدوء في الخلفية، ليكمل تلك اللوحة الهادئة التي تفتح شهية الحديث العميق.

جلس كريم على الكرسي المقابل، متمتعًا بتلك اللحظة. نظر إلى عينيها العميقتين، تلك العيون التي كانت تحمل خلفها أسرارًا لم تُكشف بعد. بتردد ناعم، وبصوت هادئ يحمل في طياته الفضول والرغبة في الاكتشاف..

بدأا الحوار، عندما سألها كريم: أريد معرفة المزيد عنكِ.

سحبت نفسًا عميقًا قبل أن تجيب بصوت متزن، بدأته بلغتها المغربية: "تحب نهدروا لك عني"، وكأنها تحاول ضبط انفعالها قبل أن تبدأ بالحديث:

"أغادير، مدينتي الساحرة، هي درة الجنوب المغربي. تقع على شاطئ الأطلسي، تلتقي فيها الشمس بالبحر، وتغمرها النسمات العليلة. شواطئها تمتد بلا نهاية، والجبال تحتضنها كأنها تحميها من الزمن. أغادير ليست فقط مكانًا، بل هي إيقاع حياة مختلف، الناس فيها بسطاء ودودون، كل زاوية منها تحمل نكهة من التاريخ، وكل يوم فيها هو احتفال بالشمس والبحر والجمال الطبيعي الذي لا يُقاوم.

أما المجتمع القبائلي، فهو نسيج آخر من الجمال والثقافة العريقة. نحن الأمازيغ، نعتز بلغتنا وتقاليدنا. القبائليون معروفون بفخرهم بهويتهم، وبتماسكهم الاجتماعي القوي. نحمل في قلوبنا حب الأرض والحرية، نساؤنا قويات، وأزياؤنا المزخرفة تحكي قصص أجدادنا، وكل قطعة فنية أو حرفية تعكس جزءًا من هويتنا العميقة. القبائليون يعيشون ببساطة، لكن قوتهم في قلوبهم وعقولهم التي لا تتغير مع مرور الزمن".

لامس حديثها شيئًا عميقًا في قلبه، وكأنها لم تكن تحكي عن أغادير فقط، بل عن بلده اليمن أيضًا، بل وعن مدينته تعز على وجه الخصوص. كانت كلماتها تصف بساطة الحياة، وعمق التاريخ، والاعتزاز بالهوية، تمامًا كما يشعر هو تجاه وطنه. أحسَّ بتشارك خفي بينهما، وانسجام لا يحتاج إلى تفسير، كأن تلك التفاصيل الصغيرة التي تحدثت عنها زينة نسجت خيوطًا تربط بين عالمين مختلفين، لكنهما يشتركان في الروح ذاتها؛ حب الأرض، والاعتزاز بالجذور، والشعور بأن كل زاوية من الأرض تحمل جزءًا من النفس.

تابعت، بذلك الصوت الذي أخذه إلى أول مكالمة: "أنا قارئة نهمة للروايات. أحب أن أغرق في عوالمها وأستكشف أحاسيس أبطالها كما لو كانت حياتهم جزءًا من حياتي". كان حديثها عن الكتب يحمل نغمة من الصدق، تلك النغمة التي تلمس شيئًا حقيقيًا بداخلها. "السياسة أيضًا جزء لا يتجزأ من اهتماماتي.

أحب أن أكون على اطلاع دائم بما يحدث حولي، لا لأجادل، بل لأفهم العالم بشكل أعمق. لا أكترث بالمظاهر أو القشور، وأفضل دائمًا أن أعيش ببساطة وهدوء".

كريم استمع بصمت، لكنه شعر بشيء ما يتغير داخله بينما كانت تتحدث. كلماتها كانت تبدو صادقة ونقية، كنسمة هواء نقي في صباح مشرق، أو هكذا كان يظن في تلك اللحظة. كانت تلك الكلمات تحمل معها نوعًا من السكينة، لكنها في الوقت نفسه أشعلت بداخله شعورًا غير مفهوم، خليطًا من الفضول والرغبة في فهم المزيد عنها.

سألها: وكيف هي حالك مع الصلاة؟!

"الصلاة جزء أساسي من حياتي. تمنحني الطمأنينة وتعيد ترتيب فوضى أفكاري". هنا، كان الحديث أكثر هدوءًا، وكأنها وصلت إلى جزء حميمي في حياتها لا تبوح به بسهولة.

بينما كانت تواصل حديثها، كان قلب كريم ينبض بشكل مختلف. شيء ما فيها كان يجذبه نحوها أكثر من أي وقت مضى بطريقة لم يفهمها بعد. كان الحوار بالنسبة إليه في تلك اللحظة ليس مجرد تبادل للكلمات، بل كان خطوة إلى الأمام في طريق لم يكن يعرف إلى أين سيأخذه. تلك اللحظة كانت تعبيرًا عن عمقٍ أكبر مما كان يتوقعه، وكأن حديثها يفتح بابًا جديدًا نحو عالمها، نحوها.

كريم يريد سبر أغوارها أكثر فأكثر، أن يتجاوز هذا الحوار إلى شيء أعمق. أراد أن يغوص في أعماق شخصيتها، أن يكتشف الزوايا الخفية التي لم يسبق لأحد أن وصل إليها. كان هناك شيء غامض فيها، شيء لم يكن يستطيع تحديده، ولكنه كان يدفعه إلى التقدم، للغوص نحو العمق.

وبينما كانت تواصل حديثها، كانت كلماتها تحمل إيقاعًا خاصًا. كل جملة كانت تبدو وكأنها تفتح بابًا جديدًا نحوها، نحو روحها، وكأنها تسمح له بأن يقترب أكثر من جوهرها. ومع كل كلمة، كان قلبه ينبض بقوة أكبر، وكأن تلك الكلمات كانت تلامس شيئًا عميقًا بداخله لم يختبره من قبل.

من هي فتاتك؟!

"إنما نرى جيدًا بالقلب، الأشياء الجوهرية غير مرئية للعين". أنطوان دو سانت إكزوبيري

باغتته زينة بسؤال لم يكن يتوقعه: **"من هي فتاتك المفضلة؟"**.

أخذ كريم نفسًا عميقًا قبل أن يجيب.. كان السؤال ينطوي على معانٍ أعمق، وقد عُرف عنه دائمًا أنه صارم إلى حدّ كبير في اختياراته، كما لو كان ينتقي نجمًا لامعًا من بين آلاف النجوم التي تضيء السماء. بعد لحظات من التأمل، بدأ حديثه، وكان يعني كلَّ كلمة يقولها:

"لا شكَّ أن أول تفضيلاتي، فتاة تصلّي وتخاف ربَّها شيء أساسي، أريدها حسناء تنازعُ القمر وجهًا وروحًا. أن تكون ذكية، ذكاؤها ليس مجرد معرفة، بل رادار حساس يلتقط أدنى الذبذبات التي تصدر مني. عقلها يشبه حقلًا خصبًا، يستقبل كل فكرة، يحللها كفنان يرسم لوحة. أريدها أن تكون مبدعة، خلاقة كنسمة هواء في يوم حار، تُنعشني بأفكارها وتجدد كل ما حولي. فأنا ملول بطبيعتي، وأحتاجها أن تكون كالموجة، متغيرة، متجددة، تأتي كل يوم بجديد، تدهشني بما تصنع، كما يفاجئ الفجر الليل بصباحه".

كريم، الذي كانت كلماته تحمل عمقًا لا يقال بسهولة، واصل وهو يشرح ببساطة ما كان في داخله:

"أحبها أن تكون صبورًا كالأرض التي تنتظر المطر، هادئة كبحيرة ساكنة تعكس السماء بصفائها، تناقش وتحلل بعقلانية دون عجلة. فأنا شخص هادئ، أبحث عن التوازن بين العاطفة والعقل، وبين الصخب والهدوء".

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يتذكر كيف تروق له الفتاة التي تمتلك حس الدعابة، فقال:

"وتروقني الفتاة الضحوك، تلك التي تملأ المكان بالبهجة، كالعطر الفواح، تسعدني بلمسات صغيرة غير متوقعة. تلك التي تملك في جعبتها نكتة غير متوقعة، أو فكرة مفاجئة كزهرة تتفتح فجأة في قلب الصحراء".

ثم أخذ كريم وقفة قصيرة، كأنه يريد أن يتحقق من أن كلماته تحمل كل ما في قلبه. تابع قائلًا:

"وتأسرني الفتاة التي تشبه هيباتيا في تمسُّكها بمبادئها، تلك التي لا تتنازل، ولا تساوم على قيمها، كجبل شامخ لا تهزه الرياح. قوة في موقفها، وشموخ يجعلها تقف دائمًا على أرض صلبة، وتلك القوة هي ما تجعلني أراها كنجمة ساطعة في سماء مظلمة".

توقف، وكأن الكلمات التي قالها كانت مرآةً لما يراه في تلك الفتاة المثالية، تلك التي تحمل مزيجًا من النعومة والقوة، من الذكاء والجمال، ومن الإبداع والحب.

عندما أنهى كريم كلماته، كان الصمت يملأ الفراغ وكأن الزمن توقف. شعرت زينة، لأول مرة منذ لقائهما، بشيء ثقيل يخترق كيانها. لأول مرة تسمع وصفًا كهذا، بل لم تكن تلك الكلمات مجرد وصف، بل مرآة عميقة عكست صورة لم تكن تعرف إن كانت تطابقها أم تبتعد عنها.

نظرت إليه بعينين تملؤهما تساؤلات لم تبح بها بعد. شفتاها ارتسمت عليهما ابتسامة خفيفة، لكنها كانت أشبه بظلٍّ يختفي قبل أن يتشكل. في تلك اللحظة، بدا لها وكأن كل شيء من حولها بدأ بالذوبان. كانت تجلس بجواره، لكنها شعرت أنها تسبح في عالم سريالي، حيث المعاني تتلاشى وتتداخل، كما لو كانت محاطة بألوان مائية تُسكب على لوحة غير مكتملة.

تسربت منها كلماتها ببطء، كأنها تُسحب من أعماقها: "أتعني أنني لست تلك الفتاة؟".

لكن صوتها لم يكن واضحًا، كان أشبه بصدًى بعيدٍ، وكأنها تسأل نفسها أكثر مما تسأله هو. كانت الكلمات تتردد في الهواء، وكأنها تبحث عن مَخرج.

كريم، الذي كانت عيناه تائهتين في مكان بعيد، نظر إليها بهدوء لم يعهده من قبل. ضحكته الخفيفة لم تكن سوى قناع يخفي وراءه بحرًا من الأسئلة.

"لم أقل ذلك.. لكني أبحث عن النور وسط العتمة".

نظرت إلى كريم بعينين تحملان تحديًا خافتًا، وكأنها تخاطب جزءًا من نفسها لم تعرفه بعد.

وجبة شهية

"لا يوجد حب أصدق من حب الطعام". جورج برنارد شو

في أحد الأيام، كان الاتفاق بينهما على لقاء مختلف، لقاء يحمل في طياته دفء الطهي وحميمية الحديث. زينة اقترحت أن تعدّ له وجبة دسمة ذات مذاق مغربي خاص، وهي التي تعرفت على ذوقه في الطعام من خلال أحاديثهما المتكررة.

وصل كريم إلى سكن زينة لأخذها إلى حديقة عامة، حاملًا معه باقة من الزهور، نزلت وهي تحمل قدور الطعام التي رتبت بعناية فائقة، ودخلت السيارة، عطرها يملأ المكان كما تملأ الابتسامة وجهه. فتح الباب لها، حولها عبق التوابل والمكونات الطازجة اختلطت بعطرها. كانت حركاتها الرشيقة وأناقتها تنعكس في عينيه كلوحة فنية حية.

جلسا معًا إلى الطاولة، وبدأت زينة تقدم له الأطباق واحدًا تلو الآخر. كانت تحرص على أن يتذوق كل طبق بإحساسها واهتمامها. كريم كان يتناول الطعام بشهية.. سألها: أحقًا أنت من أعدّ الطعام؟ قالت: نعم، سألها: كيف لك أن تجيدي الطبخ؟ قالت: أمي كانت شيف في أحد الفنادق الراقية في مراكش، وتعلمت على يدها الكثير.

كان الطعام الذي صنعته له أشبه بعزف سيمفونية من النكهات، كل لقمة كانت تحكي قصة، وكل طبق يروي حكاية. ليس فقط الطعام هو الذي أشبعه، بل الحنان الممزوج في كل تفاصيله، وكأنها وضعت في الوجبة جزءًا من روحها.

ابتسمت له ابتسامة دافئة، تشبه طعم الحلوى بعد وجبة دسمة. تلك الابتسامة لم تكن مجرد ابتسامة، بل كانت وعدًا أنهما ماضيان معًا، بداية لشيء أكبر، شيء يفوق كل توقعات كريم. في تلك اللحظة، شعر كريم بأن قلبه لم يعد فقط ملكه، بل أصبح مشتركًا مع تلك الفتاة التي جعلت من أيامه لحظات لا تنسى.

أم زينة

"اللحظات التي نلتقي فيها بأهل من نحب هي اختبار للصبر واللطف، لأنها تعكس لنا صورة الحبيب من خلال عيون أخرى، تلك التي حملت معه الذكريات، ورعته بالعناية والحب". مارسيل بروست

في أحد اللقاءات تحت سماء الدوحة، جلس كريم مع زينة في أحد المقاهي الراقية. صادف في تلك اللحظات أن اتصلت بها والدتها.

كريم، لم يكن لتستهويه العلاقات التي لا تفضي إلى شيء، فهو فخور بنفسه وبقيمه ومعتقداته التي تمنعه من أن يتلاعب بقلب فتاة، أو يتسلّى. تلك القيم تجبره أن يتعرف على أهل زينة، التفت نحوها مبتسمًا وقال: "لماذا لا تسمحين لي أن ألقي التحية على والدتك؟ أرغب في أن أعرِّفها بنفسي".

ترددت زينة للحظة، لكن ابتسامة كريم الواثقة دفعتها لتوافق. ناولت الهاتف له بحركة خفيفة. أخذ كريم الهاتف بين يديه كمن يمسك مفتاحًا لباب طالما أراد فتحه، وقال بصوت دافئ: "السلام عليكم يا خالة، أنا كريم. أودُّ أن أعرِّفك بنفسي".

على الطرف الآخر، جاء صوت والدتها رقيقًا وحميميًا، وكأنها تعرفه منذ سنوات. بدأ كريم يروي لها كيف التقى بزينة، لكنه اختار أن يجعل القصة أكثر احترافية، فأخبرها أنهما تعارفا من خلال العمل. "زينة كانت مساعدة لي في أحد المشاريع التي تطلبت تحليلًا في مجال الأعمال. عملت معي لفترات متقطعة، وكنت أتابع عن كثب شغفها وذكاءها. بمرور الوقت، أعجبت كثيرًا بشخصيتها". لم يرد أن يكشف عن بداية العلاقة التي كانت أكثر عاطفية وتلقائية، فقد رأى أن الوقت لم يكن مناسبًا لذلك.

والدتها استمعت بكل اهتمام، وكانت سعيدة بأن ابنتها قد وجدت شخصًا جادًا ومسؤولًا. لكن شيئًا واحدًا لفت انتباهها وجعل ابتسامتها تتسع أكثر. قالت له: "اسمك كريم؟ هذا عجيب، ابني الأكبر اسمه كريم أيضًا! يبدو أن القدر يلعب لعبته ليجمع بينكما". سُرَّت كثيرًا عندما عرفت أنه يحمل اسمَ ابنها نفسَه، وكأن هذا التشابه إشارة طيبة، فأخذت تُثني على شخصه وأسلوبه.

لكن بينما كانا يتحدثان، شعر كريم بشيء غريب. كان هناك صدًى خفيف، صوت آخر في الخلفية. فكر للحظة أن هناك خطأ في الاتصال، لكنه سرعان ما أدرك أن الصوت لم يكن ضجيجًا عاديًا.

وفجأة، قاطعته أم زينة، بنبرة مرتعشة قليلًا:

"كريم، هل يمكنك الانتظار للحظة؟"، لم يكن لديه خيار سوى الموافقة. لكن بينما كان ينتظر على الطرف الآخر، سمع حديثًا بصوت خافت بين أم زينة وشخص آخر في الغرفة. الصوت لم يكن واضحًا بالكامل، لكن كريم تمكن من التقاط بضع كلمات مثيرة للقلق: "لا أريد أن يتورط في هذا الأمر... لم يكن يجب أن يعرف...".

تسارعت دقات قلبه. من هذا الشخص الذي تتحدث معه؟ ولماذا هذا القلق في صوتها؟ فجأة، عاد صوت أم زينة مجددًا على الخط، ولكن بدا وكأنها تحاول جاهدة إخفاء توترها:

"أعتذر كريم، كان لدي أمر طارئ".

حاول كريم أن يستعيد تركيزه ويواصل الحديث، لكن عقله كان مشغولًا بما سمعه. قرر أن يسأل بطريقة غير مباشرة:

"هل كل شيء بخير؟ شعرت أن هناك شيئًا يشغلك". ترددت أم زينة للحظة، قبل أن ترد بصوت منخفض:

"نعم، كل شيء بخير، لا تقلق". لكن كريم لم يكن مقتنعًا. كان يعلم أن هناك شيئًا أكبر يحدث، شيئًا لم يُخبره أحد به.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

أخبريني عن نفسي

"أحيانًا، لا نرى أنفسنا بوضوح إلا من خلال عيون الآخرين. كل نظرة تحمل انعكاسًا لحقيقتنا، وكل كلمة تصفنا تكون مرآة لروحنا. لذا، خبريني.. كيف ترينني؟".

جلسا معًا يتبادلان الحديث في مكانهما المفضل في الميناء القديم في مدينة الدوحة. نظر إليها كريم بعينين مليئتين بالفضول وقال: "زينة، أخبريني عن نفسي كما ترينني أنتِ".

تململ الحياء في قلبها، فخفضت عينيها للحظة، ثم رفعت رأسها ببطء وهي تبتسم بخجل. ترددت قليلًا قبل أن تبدأ الحديث، لكن سرعان ما تدفقت الكلمات من قلبها كنبعٍ صافٍ. قالت له بصوت ناعم: "منذ لقائنا الأول، كنت أعلم أن هناك شيئًا خاصًا بك. شيئًا لا أستطيع وصفه بالكلمات، لكنه تمكن من التسلل إلى أعماقي دون استئذان".

تابعت، وعيناها تتلألأان بمشاعرها: "أنت تعلم أن هناك الكثيرين من حولي، ولكن هناك شيئًا فيك جعلك مختلفًا. أحاسيسي دائمًا رجحت كفتك على الباقين. كنتَ الشخص الذي شعرتُ أنه يجمع بين القوة والحنان، بين الرجولة والشهامة".

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تستمر: "أنت لا تمثل الرجولة فحسب، بل أيضًا إنسانية نادرة بقلب واسع. شهامتك تبدو حتى في أدق التفاصيل، من طريقة حديثك إلى اهتمامك بالجزئيات التي يغفل عنها الآخرون. وحنانك يلامس قلبي بطريقة لا توصف".

نظرت إليه مباشرة، وعيناها تحملان خليطًا من الإعجاب والاعتراف: "عندما تغار تشعرني بالأمان، تجعلني أشعر بأنني محبوبة ومدللة في الوقت نفسه. وفي كل مرة كنتُ أفكر فيك، كان قلبي ينبض بشدة، وكأنني أعرف أنك الشخص الذي كنت أبحث عنه طوال حياتي".

ثم ابتسمت بخفة وأضافت: "هناك الكثير لأقوله عنك، ولكنني لا أريد أن أكون مثقلة بالكلمات. كل ما أستطيع قوله هو أنك الشخص الذي استطاع أن يحتل مكانة خاصة في قلبي، مكانة لم أكن أعتقد أن أحدًا يمكنه أن يصل إليها".

في تلك اللحظة، شعر كريم بدفء كلماتها يتسرب إلى قلبه، وكأن تلك الكلمات كانت كل ما يحتاج إليه ليشعر بأن هذا العالم، بكل تعقيداته، يمكن أن يكون بسيطًا وجميلًا بوجودها بجانبه.

حين تسللت المسافة بيننا

"الحب لا يموت من جرح واحد، لكنه يتلاشى ببطء عندما لا نجد ما يكفي من الاهتمام والحرارة لنبقيه حيًا". غابرييل غارسيا ماركيز

في البداية، كانت علاقة كريم وزينة تنمو مثل زهرة في ربيعها الأول. كل لقاء كان يحمل معه عمقًا جديدًا، وكل حديث كان يقربهما أكثر. كانت الليالي تمضي سريعًا، وكأن الزمن يتآمر ليسرق منهما الساعات. الحب كان يشبه نهرًا يجري بلا توقف، ينساب بسهولة، دون عوائق.

كريم كان يشعر أنه وجد رفيقته التي طالما بحث عنها. كل لحظة معها كانت مليئة بالشغف، الضحكات، والأحاديث العميقة. كانت زينة تُشعل فيه ذلك الإحساس بالانبهار، كأن كل كلمة منها تحمل جمالًا جديدًا يكتشفه. كلماتهما كانت تتشابك وتبني جسورًا من الثقة والعاطفة.

لكن، كما يحدث مع كل شيء جميل، بدأ الواقع يتسرب ببطء. شيئًا فشيئًا، بدأت الشقوق الصغيرة تظهر. في البداية، لم يكن كريم يلاحظها، أو ربما كان يتجاهلها متعمدًا، معتقدًا أن كل علاقة تمر بفترات من التعقيد.

كانت البداية خفية، بالكاد يلاحظها كريم. ربما كان الأمر مجرد تأخر في الرد على رسائله أو تقديم أعذار غير مقنعة لتفادي لقاء أو آخر. كان كريم، بحسن نية، يحاول أن يجد لها الأعذار دائمًا "ربما هي مشغولة... ربما تمر بظرفٍ طارئ" كان يحدث نفسه.

لكن مع مرور الوقت، أصبح الأمر أكثر وضوحًا. اهتمام زينة بدأ يقل تدريجيًا. المحادثات التي كانت تمتد ساعات أصبحت مقتضبة، اللقاءات التي كانت مليئة بالدفء والضحك تحولت إلى أوقات يملؤها الصمت أو التوتر. وكأن شغفها بالعلاقة بدأ يختفي ببطء.

حاول كريم أن يتجاهل تلك الإشارات، أن يُقنع نفسه بأن كل علاقة تمرُّ بمرحلة فتور. كان يُنبهها بلطف إلى تلك التغييرات، يطرح أسئلته بحذر. لكن الإجابات كانت تأتي دائمًا محملة بالاعتذار والتبريرات، أو بالإنكار الكامل. كانت زينة تتجنب النقاش الجدي وتقدم أعذارًا متكررة، وكأنها تحاول أن تبقي كريم في حالة من الغموض والانتظار.

رغم محاولاته المتكررة، كان كريم يشعر أن الأمور لم تكن على ما يرام. كان ينتظر منها أن تبادر، أن تعود إلى تلك المرأة التي أسرَت قلبه في البداية، لكنَّه وجد حائطًا من التجاهل واللامبالاة، شيءٌ ما تغيَّر، لكنه لم يكن قادرًا على تحديده بدقة.

العيد

"العيد هو الفرصة التي نمنح فيها قلوبنا إجازة من الألم، لنعيد ترميم أحلامنا، ونحتفل بحياتنا كما ينبغي". محمود درويش

"ليلة العيد كأنها تمسح عنّا تعب الأيام، تعيدنا أطفالًا ننتظر الهدايا والفرح، إنها لحظة تهبنا فرصة للبدء من جديد". نزار قباني

بعد أسابيع من الخلافات المتكررة بين كريم وزينة، بدأ منسوب التوتر يرتفع. العلاقة التي بدأت بالحب والوعود الجميلة بدأت بالتحوُّل إلى ساحة معركة عاطفية. وفي لحظة من الغضب، قرر كريم أن يأخذ استراحة.

رغم الكثير من الجوانب الإيجابية في شخصية صديقي كريم، فإنه يعاني أحيانًا من قلة الصبر، ما قد يدفعه إلى اتخاذ قرارات متسرعة. أخبرته ذات زمن أنه في عالم العلاقات الإنسانية، يعتبر الصبر ميزة ضرورية، لكنَّ صبر كريم قد ينفد بسرعة أحيانًا. يمتلك كريم أيضًا حساسية مفرطة ناتجه من حسّه المرهف، تجعله يشعر بالثقل والإرهاق في مواقف قد لا تؤثر بغيره، ما يجعل تجاربه الشخصية أكثر عمقًا وتعقيدًا.

بينما كان يستعد للسفر إلى بريطانيا لحضور اجتماعات هامة تتعلق بالأسواق المالية وأعماله، اتخذ قرارًا مفاجئًا، بعد نقاش حاد معها عبر الهاتف، قام بعمل "حظر" لزينة على الجوال.

وصل إلى بريطانيا، مستعدًا للتركيز على اجتماعاته المهنية. لندن كانت باردة، لكنه شعر بشيء من الراحة. كأنه خرج من شيء يشبه السجن العاطفي. تمضي الأيام وهو يتنقل بين الاجتماعات واللقاءات المهمة. في كل مرة كان يجلس مع زملائه المهتمين بالأسواق المالية، يشعر بأن قرار الاستراحة مهمٌ جدًا ليستعيد توازنه.

لكن شيئًا ما كان يراوده، وبخاصة كلما اقترب عيد الفطر. كان العيد يحمل معه مشاعر مختلطة. العيد، بالنسبة إليه، كان دائمًا رمزًا للتسامح، لإعادة النظر في العلاقات الإنسانية. وبينما كان كريم يقضي أيامه الأخيرة في بريطانيا، تحديدًا في مدينة برمنجهام، حيث اجتمع مع أصدقائه في صالة أفراح لقضاء يوم استثنائي بمناسبة العيد، كانت زينة حاضرة وبقوة في تفكيره. كان الجميع يحتفلون ويضحكون، ولكنه شعر بأن هناك شيئًا ناقصًا. رغم كل ما مرَّ به معها، رغم الخلافات الأخيرة التي سيطرت على علاقتهما، لم يستطع أن يترك العيد يمرُّ دون أن يتواصل معها.

عاد إلى فندقه في تلك الليلة، محملًا بمشاعر مختلطة. كانت الليلة باردة ومطر خفيف يضرب نوافذ غرفته. تذكر أيضًا مقولة أنَّ "العيد هو ذلك الجسر بين ما نريد وما نأمل، ليلة تصالحنا مع أنفسنا والعالم".

جلس على السرير، وأخذ هاتفه. فتح "الحظر" عن زينة. كتب لها رسالة قصيرة: "ما سخيت يمر العيد دون أن أكتب لك تهنئة. عيدك مبارك زينة".

كانت تلك الجملة بسيطة، لكنها حملت في طياتها الكثير. لم تكن مجرد تهنئة بالعيد، بل كانت اعترافًا بأنه رغم الخلافات، فإن جزءًا من كريم لا يستطيع أن يترك الأمور هكذا. ربما كان ذلك دليلًا على إنسانيته، على قدرته على التفريق بين القرار العقلاني والمشاعر التي لا تزال تسكن قلبه.

انتظر قليلًا بعد إرسال الرسالة. لم يكن متيقنًا ما إذا كانت سترد أم لا، لكن الأهم بالنسبة إليه أنه استطاع أن يتعامل مع الموقف كما يجب، ليس من منطلق ضعف أو تردد، ولكن من منطلق إنساني بحت.

بعد دقائق من إرسال الرسالة، جلس كريم في غرفته الفندقية في برمنجهام، وعيونه تحدق في الشاشة، مترددًا بين الأمل واليأس. مرّ وقت طويل بدا له كالأبدية، أضاءت شاشة هاتفه معلنةً وصول رسالة جديدة. فتح كريم الرسالة بسرعة، وكانت الكلمات أمامه قصيرة، لكنها تحمل وزنًا هائلًا: "كيف سخيت فيّ يا كريم؟".

لم ترد على تهنئة العيد، بل عاتبته على الفور. هذه العبارة أخذته بعيدًا، هزّته من الأعماق، كأنها أتت للتو من مدينته تعز، وهو يستمع إليها بصوت الفنان عبد الباسط عبسي:

"سَخيث، بالأمس تتركني.. كذا من غير سبب معقول! نسيت.. حتى ما تذكُرني، كأني إلا غريب مجهول".

تلك العبارة طوحت بكريم يمينًا وشمالًا. كان يشعر كما لو أن كل مشاعره المتضاربة جُمعت في تلك الجملة البسيطة. بدأت أفكاره تتزاحم في رأسه. كان قد قرر أن يأخذ استراحة، أن يحرر نفسه قليلًا، لكنه الآن، وفي لحظة واحدة، شعر بأن كل ما بناه من جدران بينه وبين زينة قد تحطم.

كلماتها تتردد في أذنيه مرارًا وتكرارًا: "كيف سخيت فيّ يا كريم؟!" تسأله: كيف استطعت أن تبتعد؟! كيف استطعت أن تتخلّى؟! كان يعلم أن تلك الكلمات ليست مجرد استفسار بسيط، بل كانت تعبيرًا عن شيء أعمق.

أخذ كريم نفسًا عميقًا وأعاد قراءة رسالة. هل كان ذلك اعترافًا منها بأنّها تفتقده بالفعل، أم ماذا؟!

المهم أن الاشتياق لا نملك سلطة عليه.. تلك الرسالة الصغيرة، رغم برودتها الخارجية، أشعلت في قلبه نارًا كان يعتقد أنها قد انطفأت.

في اليوم التالي، كانت زينة تقتحمُ خياله بشكل كبير. لم يكن من السهل أن يمحو كل ما كان بينهما. العواطف التي جمعت بينهما كانت أقوى من أي قرار منطقي. قرر أن يعيد فتح النقاش الذي كان قد أغلقه منذ وقت. ربما كان هناك أمل في تصحيح المسار، ربما كانت هناك فرصة جديدة.

اتفقا على المحاولة، عدم الاستسلام، فقصص الحب الكبير تحتاج إلى صبر طويل. وكأن الأيام الماضية لم تكن سوى فترة استراحة مؤقتة. كانت البداية من جديد. تحدثا لساعات طويلة على الجوال، عن كل ما مرًا به، عن أخطائهما وعن التحديات التي واجهتهما. زينة بدت أكثر هدوءًا، وأكثر استعدادًا للاعتراف بأن بعض تصرفاتها قد أثرت سلبًا على علاقتهما. وكريم، رغم كل شيء، كان مستعدًا لمنحها فرصة أخرى.

بدأ الحديث يأخذ منحًى جديدًا. فكّرا في كيفية إعادة بناء العلاقة على أسس جديدة. ربما كان هذا الحوار نقطة تحول، أو على الأقل هكذا أراد كريم أن يصدق. اتفقا بشكل أكثر جديّة هذه المرة، لكن مع وضع شروط وقواعد واضحة لكل منهما. كان كريم يريد أن يكون كل شيء أكثر وضوحًا هذه المرة، حتى لا يعيد الوقوع في ذاك الفخ العاطفي.

وبينما كانت الليلة تمر ببطء تحت سماء برمنجهام الرمادية، أدرك كريم أنه عاد إلى تلك النقطة من جديد. عاد إلى الدائرة التي حاول الهروب منها، ولكن الآن بقلب أكثر وعيًا وتجربة. هل كانت هذه بداية جديدة حقيقية، أم مجرد إعادة للدورة نفسها؟! فقط الأيام ستكشف الحقيقة.

بينما كان كريم في مطار هيثرو في لندن، مرَّ بالسوق الحرَّة، متجهًا نحو قسم الحقائب الفاخرة. لم يكن اختياره عشوائيًا، بل قرر أن يشتري لزينة هدية مميزة تعبر عن ذوقه واهتمامه بالتفاصيل. أرسل لها مجموعة من الصور لحقائب ذات إصدار محدود من سلسلة هارودز، عارضًا عليها الاختيارات الأنيقة لتختار هديتها المناسبة.

اقترح كريم حقيبة، بتصميم كلاسيكي ولمسات عصرية، وقال لها: أعتقد أن هذه هي الأجمل، تناسبك تمامًا.

فكان رد زينة بسيطًا، لكنه محمَّل بالثقة: أعرف أن ذوقينا متفقان.

عاد كريم إلى الدوحة بعد تلك الفترة العاصفة من الحيرة بين الحب والعقل. كان قد اتفق مع زينة على إعادة المحاولة، على أن يمنحا فرصة لأنفسهما ليعيدا بناء ما تهدم.

في ذلك اليوم المشمس، اتفقا على اصطحابها إلى "مول فاندوم" الجميل، إحدى أفخم وجهات التسوق في الدوحة، وقد خطط لجعل اليوم مميزًا ومليئًا بالتفاصيل.

مرَّ لاصطحابها من سكنها، نزلت وهي ترتدي لباسًا تقليديًا، يسمى مُخوّر، بألوان تعكس أنوثتها الهادئة، تغطيه عباءتها الفاخرة. ابتسما ابتسامات متبادلة وكلمات خفيفة، وكأنهما يحاولان استرجاع بريق البدايات. تجولا بين متاجر المول الفاخرة، توقفا عند المتاجر الراقية، تحدثا عن كل شيء ولا شيء، وكأنهما يحاولان استكشاف ما تبقى من مساحات بينهما.

وصلا إلى المول مبكرًا قليلًا، وكانت مواقف السيارات مكتظة حيث تصادف إجازة العيد. ظل كريم يدور بين الممرات، يبحث عن مكان لركن سيارته. بعد طول عناء وجد موقفًا في زاوية، أوقف سيارته، ونزلا معًا.

ذهبا لتناول العشاء في أحد المطاعم الراقية داخل المول. تناولا الطعام وهما يتبادلان أطراف الحديث عن خططهما المستقبلية. كان كريم يحاول أن يكون أكثر تفاؤلًا، زينة بدت أكثر اهتمامًا من المعتاد، وكان يبدو وكأن الأمور تسير أخيرًا في الاتجاه الصحيح.

بعد تلك الأمسية الهادئة والمليئة بالتفاصيل الجميلة، جاء وقت العودة. نزلا معًا إلى مواقف السيارات، وفي ذهن كريم كانت نهاية اليوم المثالية مجرد قيادة السيارة والانطلاق نحو الأفق مع زينة بجانبه. ولكن نسي أين ركن سيارته، أدرك أن شيئًا ما ليس صحيحًا. التفت يمينًا ويسارًا، ولكنه لم يجد السيارة. "لا بأس"، قال في نفسه، "ربما هي في الممر المجاور". لكنه سار بضع خطوات أخرى ولم يجدها.

الدهشة تحولت إلى قلق، ثم إلى إحباط. بعد وقت من البحث، قرر أن يستعين برجال الأمن في المول. أتوا ومعهم أجهزة اتصالهم، وطلبوا من غرفة التحكم مراجعة الكاميرات. لكن تلك الزاوية التي ركن فيها السيارة لم تكن مغطاة بالكاميرات، وكأن السيارة قد اختفت في الهواء.

ساعتان مرّتا وكريم يدور في المواقف، بين ممرات السيارات المتشابهة وكأنه في متاهة لا تنتهي. زينة كانت تسير بجانبه في البداية، لكنها سرعان ما بدأت تشعر بالتعب والملل. قدمها كانت تؤلمها، وملامحها بدأت تعبر عن نفاد الصبر. "كريم، أرجوك، دعنا نذهب بسيارة أجرة" قالتها بنبرة من التعب والإرهاق.

لكن كريم لم يكن يستطيع ترك الأمر. السيارة كانت أكثر من مجرد وسيلة نقل؛ كانت جزءًا من هويته، من شخصيته التي تحب النظام والترتيب. استمر في البحث بينما كان شعوره بالعجز يتزايد. بدا وكأن اليوم الذي بدأ بشكل مثالي قد انتهى بكارثة.

زينة جلست على أحد المقاعد في المول، متعبة ومنهكة. لم تعد قادرة على مواصلة البحث. بينما كان كريم، في المقابل، يشعر بالغضب المتزايد، أخيرًا، وبعد ثلاث ساعات من البحث، كان كريم على وشك أن يستسلم. جلس بجوار زينة على المقعد بجانب المواقف، جاء أحد رجال الأمن مسرعًا نحوهما.

"أعتقد أننا وجدناها!" قال رجل الأمن بابتسامة صغيرة، أخرج كريم مبلغًا من المال، مكافأة سخية لرجل الأمن.

كريم، بدهشة: "كيف وجدتها؟ لقد مشينا هنا مرات عديدة ولم أرها".

ابتسم رجل الأمن بلطف وقال: "كانت مختفية خلف هذه السيارة الكبيرة ذات النوافذ العاكسة. الزجاج كان يخدعنا، كما لو كانت السيارة غير موجودة".

اقترب كريم ورأى سيارته بالفعل، كانت مغطاة بالسيارة الأخرى التي جعلتها تختفي عن الأنظار.

استقلا السيارة في صمت، وكأن كل التوتر الذي مرَّ بهما قد جعل الحديث مستحيلًا. الطريق لم يكن طويلًا، ولكن كريم لم يكن يعلم ماذا سيقول. بعد كل ما حدث، كان يعلم أن هناك حديثًا مهمًا ينتظرهما، حديثًا لا يمكن تأجيله بعد الآن.

كريم كان مشغولًا بتفكيره، وكلُّ التوتر الذي مرَّ به خلال اليوم جعله يشعر بثقل غير مسبوق. زينة جلست بجانبه بهدوء، تنظر من النافذة، وكأن الكلمات ترفض الخروج. كان الجو مليئًا بالصمت، ولكن لم يكن صمتًا مريحًا، بل صمتًا يختبئ خلفه حديث لا يمكن تجنبه. الطريق بدا طويلًا بشكل غير طبيعي، وكريم كان يعلم أن هناك مواجهة قادمة، حديثًا لن يكون سهلًا، ولكنه حتمي.

بينما هما يبتعدان عن المجمع التجاري ويشقان طريقهما على الطريق السريع، لاحظ كريم من المرايا الجانبية أن هناك سيارة تقترب من خلفهما بطريقة غريبة. في البداية لم يعرِ الموضوع اهتمامًا، لكن السيارة بدأت تضايقه وتقترب بشكل مستفز.

قال كريم بهدوء، محاولًا كسر الصمت: "زينة، أعتقد أن هناك سيارة تلاحقنا.. وسائقها متهور".

نظرت زينة سريعًا عبر المرآة وقالت بقلق: "نعم، أراها الآن.. ماذا يريد؟!".

حاول كريم تغيير المسار، معطيًا السيارة الأخرى فرصة لتجاوزه، ولكن السيارة لم تتجاوزه، بل استمرت في الاقتراب منه بشكل عدواني. كانت الحركات خطيرة، والسائق المجهول يقترب وكأنه يحاول الاصطدام.

في محاولة للسيطرة على الموقف، قال كريم: "سأتوقف على جانب الطريق.. لا أريد أن أشتبك معه".

لكن عندما حاول التوقف، اكتشف أنه لا يوجد مكان آمن للتوقف. استمر في السير، ولكن السيارة الأخرى لم تتوقف عن مضايقته. كلما اقتربا من المنعطفات، زادت محاولات السائق المجهول الاصطدام بهما، وكريم كان يحاول بحذر تفادي الكارثة.

ثم حدث ما كان يخشاه. اقتربت السيارة الأخرى بشكل مفاجئ في أحد المنعطفات وحاولت الاصطدام بسيارة كريم من الخلف. فقدَ السيطرة... وانقلبت سيارة كريم عدة مرّات.

عندما فتح كريم عينيه، كان النور ساطعًا لدرجة أزعجته. حاول أن يتذكر ما حدث، ولكن الألم في جسده منعه من التركيز. "أين أنا؟! وأين زينة؟!" تمتم.

سمع صوتًا ناعمًا بالقرب منه، كانت الممرضة: "أنت في المستشفى. زينة بخير، لا تقلق. غادرت المستشفى بعد الاطمئنان عليك".

حاول كريم أن يتحرك لكنه شعر بألم شديد، فسأل بصوت ضعيف: "ما الذي حدث؟".

الممرضة ردت بابتسامة مطمئنة: "علينا أن نتحقق من أنك تتعافى أولًا، وبعدها ستعرف كل شيء".

بحث كريم عن جواله، أعطته الممرضة إياه، تفاجأ بسيل كبير من الرسائل والمكالمات. اتضح أنه كان في غيبوبة لمدة يومين، في العناية المركزة. حاول استيعاب ما حدث، لكن الأسئلة ظلت تدور في رأسه بلا إجابة.

من كان ذلك السائق؟ ولماذا كان يلاحقه؟

فكّرَ بصمت. حاول أن يجمع شتات أفكاره، لكن كل شيء بدا مشوشًا، وكأن الوقت فقد معناه. أمسك هاتفه بيد مرتعشة، وتصفح الرسائل والمكالمات التي لم يُجب عليها. الأرقام كانت من أصدقائه، من عائلته، وحتى من زينة. لكن السؤال الأهم كان: لماذا غادرت زينة المستشفى؟ لماذا لم تنتظره حتى يفيق؟

بينما كانت تلك الأفكار تتردد في عقله، شعرت الممرضة بتوتره وقالت: "لا تجهد نفسك، الأمور ستتضح قريبًا. ركز الآن على استعادة صحتك".

لكن كريم لم يكن يستطيع أن يهدأ. الأسئلة ظلت تتراكم في رأسه. قرر أن يتصل بأول شخص في قائمة المكالمات الفائتة، كان صديقه المقرب، وسام، "أين أنت يا رجل؟! لقد كنا قلقين عليك جدًا!" كانت الكلمات الأولى التي سمعها من الطرف الآخر. "أنا في المستشفى..". أخبره وسام أنه سيزوره غدًا. بعد فترة وجيزة اقترب من غرفته ضابط أمن برتبة عالية، سلم عليه..: كيف حالك، طمئنا عليك، الحمد لله على سلامتك.. وكريم يرد عليه.. دار حوار بين الضابط وبين كريم، شعر كريم بصدمة تسري في جسده وهو يستمع إلى تفاصيل ما حدث. لقد كانت حادثة مدبّرة.. كان يحاول استيعاب كلمات الضابط ببطء، كل كلمة تثقل عليه كحجر. "فيديو؟" تمتم لنفسه. كان الأمر أكبر مما تخيل، وبدأ يدرك أن الحادث لم يكن مجرد تصرف عشوائي من سائق متهور. رد كريم بصوت متقطع: "هذا يعني أن لديكم تسجيلًا لما حدث؟". أومأ الضابط برأسه وأجاب: "نعم، لدينا تسجيل واضح للمطاردة والانقلاب". سأله الضابط: هل عندك القدرة لمعرفة ما حدث، قال: نعم، فكل ما أتذكره أن هناك سيارة كانت تطاردني بشكل عدواني، قال: "نعم، من حسن حظك أن هناك سائقًا آخر كان موجودًا بالمصادفة وراء تلك السيارة وعندما لاحظ الحركات المستفزة لذلك السائق حاول أن ينبهه بضوء السيارة لكن السائق الذي كان يلاحقك لم يتوقف.. كان على السائق في السيارة الثالثة أن يتصرف، فأخرج جواله وبدأ بتصوير ما يحدث، إلى أن انقلبت بك السيارة وفرّ ذلك السائق المتهور، توقف سائق السيارة الثالثة واتصل مباشرة بالإسعاف والأمن، وجرى إسعافك، وسلّم الفيديو لرجال الأمن الذين حضروا.. الفيديو سيكون جزءًا من التحقيق. نحاول الآن تتبع السائق الذي فرّ من المكان. قد نحتاج منك أن تراجع بعض التفاصيل عندما تكون جاهزًا".

شعر كريم بقلق يزداد في قلبه. لم يكن الحادث مجرد مصادفة. لقد كان هناك تخطيط، أو على الأقل نية سيئة من ذلك السائق. ولكن من يمكن أن يفعل شيئًا كهذا؟ وهل كان مستهدفًا بالفعل؟

الضابط لاحظ التوتر على وجه كريم، فاقترب منه وقال بصوت هادئ: "لا تقلق. نحن نتابع الأمر بجدية، وسنحاول معرفة كل التفاصيل. الأهم الآن هو أن تركز على صحتك".

كريم، رغم شعوره بالارتياح الجزئي لوجود هذا الفيديو والشاهد الذي صور ما حدث، لم يستطع التخلص من الإحساس العميق بأن هناك شيئًا آخر يحدث في الكواليس. التفت إلى الضابط وسأله: "هل رأيتم شيئًا غريبًا في الفيديو؟ شيئًا قد يشير إلى من كان يقود تلك السيارة؟".

صُدم كريم من كلمات الضابط عندما أتى لزيارته في المرة القادمة، كانت المفاجأة أكبر مما يتخيل. حاول أن يستوعب ما يسمعه بينما عيناه تحدقان في الضابط. "سائق أرسله خطيب زينة السابق؟" كرر كريم بصوت بالكاد يُسمع.

أومأ الضابط برأسه وأضاف: "نعم، كان يراقب تحركاتكما منذ فترة، ويبدو أنه خطط لكل شيء بعناية. لم يكن الهدف فقط إيذاءك، بل إحداث ضرر نفسي عميق لزينة أيضًا. كانت هذه محاولته للانتقام". هنا ربط كريم اختفاء سيارته في مول فاندوم.. ولم تكن مصادفة إذ كانت نفسها السيارة التي غطت سيارته.

شعر كريم بالارتباك والانزعاج يتسللان إلى قلبه. كيف يمكن أن يمتد الحقد بهذا الشكل؟ كيف لم يكن يعلم شيئًا عن هذا الخطيب السابق؟ لكن الأسئلة كانت كثيرة والإجابات قليلة.

تنهد كريم بعمق وسأل الضابط بصوت مليء بالتوتر: "وماذا سيحدث الآن؟ هل ستتم محاسبته؟". عرف كريم أن خطيب زينة السابق هو أحد أبناء قادة الجيش في إحدى الدول العربية.

ابتسم الضابط بابتسامة هادئة مطمئنة وقال: "لقد تم القبض على السائق، وهو الآن في عهدة السلطات. القضية أصبحت رسمية، ونحن نجري جميع الإجراءات القانونية اللازمة لمحاسبته. لا داعي للقلق بعد الآن، أنت في أيدٍ أمينة".

بدا كريم مرتاحًا بعض الشيء، لكن لم يكن هذا الشعور كافيًا للتخفيف من الألم والقلق اللذين عصفا بروحه. فكر بزينة، وفي كل ما مرَّت به، وفي حقيقة أن جزءًا من حياتها كان خفيًا عليه.

سأل كريم بصوت خافت: "هل زينة بخير؟".

رد الضابط: "نعم، زينة بخير. استجوبناها وأفادت بكل المعلومات التي كانت تعرفها. لم تكن تعلم عن المخططات الأخيرة لخطيبها السابق. الآن هي بخير، وأنت أيضًا".

حاول كريم الاسترخاء في سريره، لكن قلبه كان مثقلًا بالأسئلة التي لم يجد لها إجابة.

في اليوم التالي، دخلت زينة إلى الغرفة حاملة باقة من الورد الأرجواني الذي تعلم جيدًا أنه المفضل لدى كريم. ابتسمت وهي تقترب من سريره، وتمنت له السلامة بعبارات هادئة: "كيف تشعر الآن؟".

نظر إليها كريم بعينين مثقلتين بالألم الداخلي وقال: "لا لست بخير". كان واضحًا أن هناك ما هو أعمق من مجرد ألم الجسد، شيئاً يحرق قلبهُ ويُعكِّر صفوَ عقله.

اقتربت منه زينة، وضعت يدها على يده وقالت بصوتها الناعم المألوف: "اسمع، حبِّي، أخفيت عليك أن خطيبي السابق هو أحد أبناء قادة الجيش في تلك الدولة. لم أكن أريد إزعاجك بماضٍ اعتبرته منتهيًا. ما يهمني الآن هو أنت.. حاضري ومستقبلي، وسندي".

تنهدت وهي تكمل: "لم أكن أتخيل أنه قد يصل به الأمر إلى هذا الحد، أن يدفع أحد كلابه كي ينتقم منَّا بتلك الطريقة. المهم الآن يا حبي، هو أن ترتاح. عندما تخرج من المستشفى سنتحدث طويلًا، لكن الآن، ركزْ على التعافي. أنا هنا إلى جانبك".

كانت كلماتها مواسية ومطمئنة. شعرَ بأنّ الألم الذي كان يعصر قلبه بدأ يتراجع قليلًا، لكنه لم يزُل.

مرت الأيام على كريم وهو يرقد في المستشفى، وفي كل يوم كانت زينة تزوره بانتظام، حاملة معها كلمات الدعم والورود التي تملأ الغرفة بعطرها. لكن مع مرور الوقت، بدأت زياراتها تقل شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت شبه نادرة. بعد مرور شهر، افتقد وجودها بشكل مؤلم، لكنه لم يرد أن يسألها أين هي. كبرياؤه منعته من ذلك.

تحت تأثير الفضول الذي أرهقه، دخل كريم إلى حساب زينة على الإنستجرام. تصفح الصور والقصص ليتفاجأ بأنها سافرت مع صديقاتها إلى بلد آخر لقضاء إجازة. كانت الصّور مليئة بالابتسامات واللحظات السعيدة، وكأن شيئًا لم يحدث. شعر بألمٍ شديد يعتصر صدره، لكنّه لم يسألها، بل بقي صامتًا.

كان كريم مستلقيًا في سريره، يراقب بهدوء الأضواء المتراقصة عبر النافذة. لم تكن الأيام التي قضاها في المستشفى سهلة، لكنه لم يكن يتوقع أن تتغير حياته بهذا الشكل المفاجئ. سمع خطوات هادئة تقترب من الغرفة. لم يكن مستعدًا لما سيحدث، لكنه شعر بشيء ما، شيءٍ مختلف.

دخلت دكتورة نورة الغرفة، تشع جمالًا وأناقة، تحمل في يدها باقة من الورد الأبيض. ابتسمت ابتسامة دافئة وهي تقول: "كريم! سمعت بما حدث، وكان لا بد أن أراك. كيف حالك؟".

نظر كريم إليها وابتسم، بصدق مشوب بالحيرة: "أهلًا أهلًا نورة، شكرًا لزيارتك، أنا بخير نسبيًا، أفضل مما كنت عليه".

اقتربت نورة وجلست على الكرسي بجانب سريره. "لقد مررتَ بالكثير، لكنّي متيقنة أنك ستتعافى قريبًا. المهم أنك بخير الآن".

قبل أن يرد كريم، سمع صوت خطوات أخرى تقترب من الغرفة. كانت زينة. دخلت بابتسامة مترددة، وقد حملت في يدها حقيبة صغيرة. حين رأت نورة جالسة بالقرب من كريم، تجمدت للحظة.

كسر كريم الصمت: "زينة، تعالي، أريدك أن تلتقي بالدكتورة نورة، طبيبة سعودية، مقيمة في قسم الأعصاب بمستشفى إم دي أندرسون في هيوستن، تعارفنا في إحدى رحلاتنا بين الدوحة وهيوستن".

نظرت نورة إلى زينة وابتسمت: "تشرفت بلقائك، حدثني كريم عنكِ كثيرًا".

ابتسمت زينة بشيء من التحفظ وقالت: "أهلًا، تشرفتُ بمعرفتك، يبدو أنكِ صديقة مقربة لكريم".

نورة بنبرة دافئة: "نعم، تقابلنا في إحدى الرحلات وكان من السهل ملاحظة أن كريم شخص مميز. نادرًا ما أقابل أحدًا يحمل هذا الكم من الإيجابية والطموح".

في الحقيقة لقد تكررت لقاءاتهما في أكثر من رحلة بعد ذلك حيث كانا يرتبان سفرياتهما إلى هيوستن معًا.

كريم، محاولًا التخفيف من حدة الموقف: "لقد كانت رحلة طويلة وممتعة، والحديث مع نورة جعلها أكثر إشراقًا".

شعرت زينة بالضغط يزداد، وحاولت تبديل الحديث بسؤال روتيني: "كيف تشعر اليوم، كريم؟".

كريم، وعيناه تتجهان نحو نورة للحظة قبل أن تعودا إلى زينة: "أشعر بتحسن، لكن هناك أشياء أكبر من الألم الجسدي. كنت أعتقد أنك ستكونين هنا، لكني اكتشفتُ أنك كنت في رحلة خارج البلد".

صمتت زينة للحظة قبل أن ترد بصوت هادئ: "كنتُ بحاجة لأخذ بعض الوقت مع صديقاتي بعد كل ما حدث. كنت أحتاج إلى تلك الراحة".

قاطعتها نورة بنبرة هادئة وغاضبة، ولكن واضحة: "أحيانًا، لا يدرك المرء أن ما يحتاجه الشخص الذي يحبه هو وجوده، وليس راحته"، ثم نظرت إلى كريم وقالت: "أعلمُ أنك مررتَ بوقت صعب، ومن الصعب على أي شخص أن يكون بمفرده في مثل هذه الأوقات". لقد كانت غاضبة جدًا عندما علمت أنّ زينة تركت كريم وذهبت مع صديقاتها لرحلة سفر خارج البلد.

كانت نورة تقصد: "الوقت الذي غابت فيه زينة كان أكثر من مجرد راحة، لقد كان اختيارًا".

زينة شعرت بحدة الموقف، وحاولت الرّد بنبرة دفاعية: "لا أعتقد أن أحدًا يمكنه الحكم على مواقفي دون أن يعرف كل التفاصيل".

نورة بابتسامة هادئة، ولكن بعيون ثابتة: "ربما، لكن التفاصيل المهمة تكون واضحة عندما يتعلق الأمر بالاهتمام بمن نحب".

شعر كريم وكأن الحديث يتجاوز السطح إلى عمق أكبر بكثير. ودعته نورة على أن تزوره في لقاء قادم إذا تمكنت.

بقيت زينة في الغرفة.. كان الجو مشحونًا قليلًا.

المهم، بعد شهرين من الألم والصبر، خرج كريم من المستشفى أخيرًا. أتت زينة لاصطحابه، كما لو أن الأمور على ما يرام. ابتسمت ابتسامة خجولًا، وقالت مرة أخرى محاولة تبرير سفرها: "حبيبي، لقد تعرضت لضغط كبير من صديقاتي للسفر، أردنَ أن نحتفل بسلامتي من الحادث".

نظر كريم إليها بصمت. لم يُعلق، فقط اكتفى بابتسامة باهتة.

قبل أن تودع زينة كريم في تلك الليلة عند منزله، قالت له: "في الأيام القادمة يجب أن نتحدث بجدية. أنا جاهزة أكثر من أي وقت مضى".

تلك الجملة أشعلت في قلب كريم شعورًا جديدًا- رغم أنه كان محبطًا مما حدث. كان ينتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل، اللحظة التي قرَّرت فيها زينة أن

تأخذ علاقتهما بجدية، وتُظهر التزامًا حقيقيًا.

في اللقاءات التالية كانت أحاديث جادة حول الارتباط.. عندما أتمًا مناقشة كافة التفاصيل، تحضّر كريم للقاء القادم بطريقة مختلفة تمامًا. كان يعلم أن هذه المرة يجب أن تكون مميزة. لم يكن يريد أن يكون الحديث حول الزواج مجرد كلام عابر. لذلك، قرر أن يفاجئ زينة بشيء يعبّر عن جديته، شيء يحمل في طياته رمزية الالتزام والاهتمام. أحضر معه مجموعة من الشبكات الذهبية والأساور الراقية، وقد اختارها بعناية من محلات صديقه الذي يدير متاجر راقية للذهب في الدوحة. كان يريد أن تشعر زينة بأن هذه الخطوة ليست مجرد حديث، بل قرارٌ مصيريٌ له ولها.

عندما التقيا في ذلك اليوم، كانت الأجواء مختلفة تمامًا عن الليلة السابقة. زينة بدت أكثر هدوءًا، وكأنها قد أعدت نفسها للحديث الجاد. جلسا في مكان هادئ داخل مطعم أنيق، حيث كانت الأضواء الخافتة والموسيقى الناعمة تضفي جوًا من الراحة.

ثم بدأ الحديث يأخذ منحًى أكثر جدية. "زينة، أنا جاد بشأن الزواج. أريد أن نخطو هذه الخطوة معًا، وأريد أن نبدأ بالتحضير".

ولكن زينة، التي كانت تبدو متحمسة في البداية، سرعان ما أظهرت بعض التردد. أخبرته: "كريم، أنا جاهزة، ولكن هناك مشكلة. إذا أخبرت والدي الآن، فسيطلب مني السفر إلى المغرب فورًا، وسيمنعني من البقاء هنا. ليس الأمر سهلًا كما تتصور".

شعر كريم بالغرابة، لكن قبل أن يتمكن من الرد، واصلت زينة شرح خطتها: "ما رأيك أن نعقد قراننا هنا في الدوحة، ونقيم حفلة صغيرة بيننا؟ وبعد فترة من الزمن، نسافر معًا إلى المغرب لإكمال الإجراءات الرسمية. بذلك، نتجنب المشكلات التي قد تحدث الآن مع والدي".

كانت كلماتها تبدو منطقية، لكن كريم شعر بشيء من الحيرة. لماذا هذا التردد من والدها؟ ولماذا تشعر بالخوف من إبلاغه؟ مع ذلك، قرر ألَّا يُظهر قلقه في تلك اللحظة. أراد أن يمنحها فرصة لتوضيح الأمور.

"إذا كان هذا ما ترينه مناسبًا، يمكننا أن نفعل ذلك. لكن يجب على الأقل أن تخبري والدتكِ وأخاكِ، على أن يكون هو ولي أمرك، هذا شرط أساسي. يجب أن نخطط لكل شيء بدقة، وأنا بحاجة إلى أن أعرف أنكِ بالفعل ملتزمة بهذه الخطوة".

ابتسمت زينة، وكأنها تريد أن تطمئنه، وقالت: "أنا معك يا كريم، هذه هي خطتنا الآن. وسننفذها معًا".

رغم أنها بدت صادقة في كلامها، إلا أن كريم لم يستطع التخلص تمامًا من الشعور بأن هناك شيئًا غير واضح. لكن في تلك اللحظة، كان قراره أن يمضي قدمًا، أن يعطي هذه العلاقة كل ما لديه، وأن يرى إلى أين ستقودهما الأيام.

كريم، بابتسامة هادئة، قال لها: "أريد أن أريك شيئًا".

فتح حقيبة صغيرة وأخرج منها مجموعة من الشبكات الذهبية والأساور اللامعة. "اخترت هذه لكِ. أريدك أن تختاري ما تحبين".

تفاجأت زينة بجديته وبتحضيره لهذا اللقاء بهذه الطريقة. كانت قد اعتادت على توتر كريم وعدم حسمه في المواقف الصعبة، ولكن هذه المرة كان مختلفًا. بيدين مرتجفتين، اختارت إحدى الشبكات الذهبية، وعيناها تلمعان ببعض الحماس.

وجد نفسه واقعًا في شباكِ زينة، فتاة مجنونة، عاقلة، طفلة، قريبة، بعيدة، جمعت كل المتناقضات.

تذكر ما كتبه محمد رشيدي بتصرف: "عندما نكبر قليلًا نعرف أن هناك مسافة دائمًا بيننا وبين كل شيء، وأن كل خطوة في أي مساحة تكلفك شيئًا، شيئًا من عمرك، من روحك، حتى من كبرياء نفسك أحيانًا. أن تخترق مساحتك امرأةٌ مجنونةٌ يكلفك كل ما سبق. عندها فقط تعرف أن للروح روحًا لم تكبر بعد. أن تنكشف لك روح تنهبك من نفسك، أن تطأ بقدمَي قلبك حياة امرأة أخرى روحها لم تكبر. عندها تعرف كيف اختبأ عنك نصف العالم.. نصف السماء ونصف الأرض.. أنك نفسك لم تكن سوى نصف. الحياة على ضفاف امرأة مجنونة هي حياة كاملة حياة "كثيفة" ثقيلة كل ما فيها يأتيك دفعة واحدة يدهمك مرة أخرى".

في حضن اللؤلؤة: من جناح الأحلام إلى حياة مشتركة

"الحب ليس فقط في الأحلام، بل هو أن تصنع من كل لحظة حلمًا جديدًا، وتزرعه في واقعك". أنطوان دو سانت إكزوبيري

كانت تلك الأمسية أكثر من مجرد ليلة عادية. كان الهواء في الدوحة يحمل نسمات رقيقة، تخترق دفء الصيف وتداعب الأمواج بهدوء. الأضواء على كورنيش الدوحة ترسم خيوطًا ذهبية فوق المياه، وكأنها تعد العدة لحدث استثنائي، لليلة كتب فيها القدر فصلًا جديدًا في حياة كريم وزينة.

عملا حفلة صغيرة، بهجة مختصرة جمعت أقرب صديقاتها وأعز أصدقائه. كانت الوجوه مبتسمة، والأرواح تعلوها ألوان الفرح. كان كل شيء بسيطًا، ولكنه يحمل في تفاصيله معنًى أكبر من أي تجمع آخر. بين الضحكات والهمسات، كانت زينة تتألق ببراءتها وأناقتها المعتادة، وكريم ينظر إليها بعينيه المليئتين بالعشق، ينتظر اللحظة التي ستصبح فيها رسميًا جزءًا من حياته.

حجز كريم جناحًا أسطوريًا في أحد الفنادق المطلة على كورنيش الدوحة، جناحًا لم يكن مجرد مكان للإقامة، بل كان عالمًا خاصًا، مصممًا بعناية ليكون شاهدًا على بداية فصل استثنائي في حياته مع زينة. كل زاوية في الجناح كانت تنبض بالفخامة، الأثاث الفاخر والألوان الدافئة تعكس الرقي والترف. نافذة واسعة تطل على البحر، حيث يتماوج الأفق بين السماء والماء، وكأن الطبيعة تشارك في هذا الحفل الخاص.

وصلا معًا إلى الجناح، حيث كان كل شيء معدًا لاستقبالهما. الضوء الخافت، الموسيقى الهادئة، والعطر ورائحة البخور الذي يملأ المكان... كل شيء كان يحاكي تلك اللحظة التي سيبدأان فيها رحلتهما معًا.

وفي تلك اللحظة، كانت مقولته المشهورة تتردد في ذهنه: "التفرُّد هو أن يكون لك طقوسك الخاصة التي لا تشبهها طقوس الآخرين". كريم، الذي كان دومًا يميل إلى التفرد، أراد لتلك الليلة أن تجمع بين الرقي والبساطة، بين الفخامة والحميمية. وقد كان له ما أراد.

كانت تلك الليلة بداية فصل جديد في حياته. كل تفصيلة صغيرة كانت تُشعِر كريم بأنه يعيش لحظة لا تتكرر. لم يكن الأمر مجرد ليلة زفاف تقليدية، هنا، في هذا الجناح الأسطوري، بدأ فصلهما الخاص، حيث الأحلام الكبيرة تلتقي مع اللحظات الحميمة.

قضيا في ذلك الجناح الأسطوري بضعة أيام، أيامٍ ليست كالأيام، ساعات ليست كالساعات، كانت أشبه بفصل منفصل عن الزمن. كانت اللحظات التي عاشاها هناك عمرًا كاملًا، وكأنهما في عالمهما الخاص، حيث كل شيء ينساب بهدوء وجمال. كانت الأيام تتدفق بهدوء، دون استعجال، تتخللها نظرات مليئة بالحب وأحاديث عميقة يكتشفان فيها المزيد بعضهما عن بعض.

بعد تلك الأيام المميزة، حان الوقت للانتقال إلى فصل جديد. انتقلا إلى شقة كريم الفاخرة في مدينة اللؤلؤة، حيث المارينا تمتد بنسقها البديع، والأفق يبدو وكأنه لوحة مرسومة خصيصًا لهما. كانت الشقة في اللؤلؤة تحاكي أسلوب حياة كريم الأنيق والمترف. نوافذ واسعة تُطل على المياه الهادئة، وشرفات

تحتضن الهواء العليل القادم من البحر، بينما الأثاث الفخم والديكورات البسيطة تترك لمساته الخاصة.

زينة، التي كانت دقيقة في كل خطوة، أحضرت معها أغراضها، وكأنها تختار بعناية ما تحتاج إليه لتبدأ حياتها الجديدة في هذا المكان. كل تفصيلة صغيرة كانت تخضع لعينيها الدقيقتين كما لو كانت ترسم بدقة ما تريده. لم يكن الأمر مجرد نقل أغراض، بل كان بالنسبة إليها كما لو أنها تصمم بداية جديدة، تنسج خيوط حياتها في هذا المنزل الذي سيحتضن قصتهما.

كانت تتجول في الشقة، تلمس الأثاث برفق، ترتب أغراضها بعناية، وتختار المكان المثالي لكل قطعة جلبتها. كريم كان يراقبها بصمت، مبتسمًا وهو يراها تضع لمساتها في المكان. كان يرى في كل حركة منها أسلوبًا فنيًا بين دقة بيكاسو، وسريالية سلفادور دالي، وأحيانًا تميلُ أكثر إلى سلفادور دالي، حيث تخلط الجنون بالعبقرية، وكأنها ترسم لوحتها الخاصة، تختار الألوان والخطوط بعناية لتتناسب مع رؤيتها الخاصة للحياة.

لم تكن زينة عشوائية في قراراتها. كانت تعرف تمامًا ما تريده، وكأنها تعيد ترتيب تفاصيل حياتها الجديدة مع كريم بالدقة نفسها التي تتعامل بها مع أغراضها. كل شيء كان له معنًى، كل تفصيل كان جزءًا من صورة أكبر. كانت ترسم ببطء، وبإحكام، ما تراه مثاليًا لحياتهما المشتركة. كريم، على الجانب الآخر، كان يجد في دقتها تلك ميزة إضافية، شيئًا يعكس شخصيتها العميقة والهادئة، وأحيانًا المجنونة.

وبينما كانت تضع آخر قطعة في مكانها، التفتت إلى كريم بابتسامة، وكأنها تقول له: "الآن، كل شيء أصبح في مكانه". كانت تلك اللحظة بداية حياة جديدة، حيث التفاصيل الصغيرة كانت تشكل الأساس لشيء أكبر، لحياة تجمع بين الدقة والجمال، بين الحلم والواقع.

سهرا الليالي معًا، ضحكا، وتبادلا النكات والأحاديث العميقة التي تُغذي الروح وتُشعل الحُب. كانت زينة تجيد تحويل كل لحظة إلى ذكرى لا تُنسى، حتى في أبسط تفاصيلها. يجلسان على الشرفة المطلة على المارينا، حيث ينساب ضوء القمر برقة على سطح الماء، ويبدو الأفق وكأنه يرحب بأحاديثهما الليلية.

كانت زينة، بذكائها وعمقها، تعرف كيف تُضفي على الحوار لمسة خاصة. أحيانًا، كانت تتحدث إلى كريم بلهجتها المغربية، تلك اللهجة التي كانت تضيف عمقًا إضافيًا لكلماتها. كانت تقول له بابتسامة عاشقة: "بغيت ندوز عمري كلو معاك، كنعشقك، غادي نسمح فكولشي، باش نكون معاك". كانت كلماتها تأتي ناعمة، مليئة بالصدق والحب، تلامس قلب كريم بطريقة لا يمكن لأي لغة أخرى أن تفعلها.

كريم كان يستمع إلى تلك الكلمات وكأنه يسمعها لأول مرة في كل مرة. كانت تخترق أعماق قلبه، تبعث فيه شعورًا لم يعرفه من قبل. تلك الكلمات كانت تحمل وعدًا، وعدًا بالبقاء، بالاستسلام الكامل للحب، وبأنها على استعداد للتخلي عن كل شيء من أجل أن تكون معه. كان ينظر إليها حينما تتحدث، وعيناه تلمعان بالدهشة والإعجاب، وكأن كل حرف تنطقه يرسم له لوحة من الحُب الخالص.

كريم، الذي كان يقدّر تلك اللحظات، كان يرد بابتسامة هادئة، ولكنها مليئة بالحب والعرفان. يعلم أن كل كلمة منها كانت تُبنى على رغبة حقيقية في البقاء

معه، رغبة تحمل في طياتها الحلم، الحنين، والإخلاص. وفي كل مرة كانت تقول: "غادي نسمح فكولشي، باش نكون معاك"، كان يشعر بعمق التزامها، ويشعر بأن تلك الليالي لم تكن مجرد وقت يقضيانه معًا، بل كانت بناء لعالمهما المشترك.

ما أجمل اللحظات التي تجمع بين الحُب، البذل، والتجلي. كلَّما مرَّ الوقت، شعرَا بأن ما بينهما أكبر من أن تصفه الكلمات، وأن الحُب الذي يعيشانه حبٌّ حقيقيٌّ، صادق.

عاشا تلك الفترة معًا، كانت أشبهَ بعمرٍ كامل. ليس العمر بعدد السنوات التي نقضيها، بل بالعمق ومع من نعيشه. كانت حياتهما مليئة بالتفاصيل الصغيرة التي تجعل اللحظات تستحق أن تُحفر في الذاكرة. كل لحظة كانت تعادل سنوات من الحُب والشغف.

زينة، التي كانت تُتقن فن الحياة، لم تترك شيئًا للمصادفة. رغم ندرة المرات التي طبخت له فيها أشهى الأكلات، تلك الوجبات التي كانت تُعدُّها بحب لا يُقاس، وكأنها تُعطيه قطعة من روحها مع كل لقمة. كان كريم يشعر أنه لا يأكل فقط، بل يتذوق مشاعرها العميقة، تلك المشاعر التي كانت تغمره في كل لحظة. وكما كانت تطبخ له الطعام، طبخته بنارها.

كل لحظة كانت تمتلئ بالعشق. كانا يتجولان في أروقة المشاعر العميقة، لا يحتاجان إلى كلمات كثيرة ليعبرا عما بداخلهما، لأن الحُب كان يتحدث بلغة أخرى، لغة الأفعال والنظرات. لم يكن هناك فراغ بينهما، كانت كل لحظة تمتلئ بالحب الذي يربطهما بعضهما ببعض، وكأن العالم الخارجي قد تلاشى، ولم يبقَ إلا هما.

كريم، وهو يعيش تلك اللحظات، كان يدرك أن ما بينهما ليس مجرد أيام تُقضى، بل هو عمرٌ كامل، عُمق يتجاوز الزمن ويعيد تشكيله. كان الحُب بينهما لا يقاس بالوقت، بل بمدى الشغف والتفاهم الذي يجمع بين روحيهما.

الليل ينساب برفق، متسللًا عبر نوافذ شقة كريم في مدينة اللؤلؤة، بينما يجلسان معًا يتبادلان الحديث العميق. تلك الأحاديث التي تخللتها لحظات من الضحك، وأحيانًا أخرى، لحظات من الأسئلة والمخاوف التي لم يكن باستطاعة زينة إخفاؤها.

في إحدى تلك الأمسيات، وبينما كان الجو مشبعًا بالحب والهدوء، سألت زينة، بصوتها العذب الذي يخبئ خلفه بعض المخاوف: "هل يمكن أن تتزوج بامرأة أخرى؟" كانت تبتسم، لكن عينيها حملتا شيئًا من الجد. "انتبه، كنقتلك أنتَ وهيا.."، أضافت مازحة، ولكن هناك في أعماقها كان شيء ينتظر جوابًا يشفي قلقها.

كريم، بنظرته التي تمتلئ بالحب والاطمئنان، ضحك بخفة قبل أن يجيبها. رفع نظره إليها وقال بصوت هادئ، ولكن مليء بالثقة: "أحد معه القمر، إيش يبغى بالنجوم؟" كانت تلك الكلمات كافية لتذيب أي شك قد يكون داخلها، كلمات تحمل في طياتها حُبًا لا يحتاج إلى برهان.

دائمًا عندما يسأله أحدهم عن مشاعره تجاه زينة، كانت أكثر من مجرد كلمات. كانت وعدًا، تأكيدًا بأنه لا يرى في العالم غيرها، بأن لا شيء يمكن أن يسد

الفراغ الذي تملؤه هي في حياته. كان كريمٌ يعلم جيدًا كيف يطمئنها، كيف يجعلها تشعر بالأمان الذي تحتاج إليه، وكان يعرف أن هذه الطمأنينة ليست فقط كلمات، بل كانت حقيقية تنبع من أعماق قلبه.

يعرف كريم أن الأمان يأتي في سُلَّم احتياجات المرأة السوية، ولقد وهبها ذلك.

كانت تنظرُ إليه، وابتسامة دافئة ارتسمت على شفتيها. شعرت بالراحة، بالحب الذي يحيطُ بها. كريم كان بالنسبة إليها أكثر من شريك.

وبينما استمرت الأمسية، كانت مشاعر الحب بينهما تتعمق، وكأن كل حوار بينهما كان يؤسس لجسر من الثقة والأمان. تلك الثقة التي تجعلهما أقرب، تجعل مخاوف زينة تتلاشى، وتجعل كريم يشعر بأنه لم يكن هناك مكان في العالم يشبه هذا المكان، حيث الحُب هو سيد اللحظة.

الملهمة

الملهمات لا يُبحث عنهن، بل هنّ من يجدن الطريق إلى قلبك دون أن تدري

كان كريم جالسًا في مقهًى هادئ في الدوحة، يستمتع بانتظار صديقه وسام الذي كان في زيارة معتادة، يزور الدوحة كل شهر أو شهرين في رحلة عمل. سرعان ما دخل وسام المقهى بابتسامة عريضة تسبق خطواته، وعلى وجهه الابتسامة التي يعرفها كريم جيدًا، ابتسامة تحمل معها نكتةً جاهزة أو تعليقًا لاذعًا.

وسام: "إلى متى يا كريم ستظل تنتظر نجمة في السماء؟!" قالها وهو يضع حقيبته على المقعد بجانبه، مبتسمًا كعادته.

كريم، بابتسامة هادئة، يرد بهدوءٍ يعرفه عنه صديقه: "أنا لا أطارد النجوم، تعرف أني أريد القمر". رفع وسام حاجبيه ساخرًا: "القمر؟! حسنًا، وما أهم صفات هذا القمر الذي تنتظره؟". نظر كريم نحو البحر الممتد أمامهما، وكأنما يبحث عن إجابة تأملية، ثم قال بهدوء: "أريدها ملهمة... أن تحمل في روحها ما يوقظ فيّ الحياة، أن تكون قادرة على أن تملأ فراغات قلبي بحكمة وإبداع".

ضحك وسام ضحكة خفيفة، ثم قال ساخرًا: "ملهمة؟! وهل تظن أن المُلهمات ينتظرن في الدوحة؟!".

ثم أضاف بضحكة مدوية: "لعلَّك تجدها في الجنة يا صديقي".

قهقه كريم، تعوَّد على تعليقات وسام اللاذعة، فقد كان يعلم أن خلف تلك السخرية يكمن صديق يفهمه أكثر من أي شخص آخر.

قال كريم بجدية: "القمر لا يظهر كل ليلة، لكنه يستحق الانتظار".

وسام يزور الدوحة بانتظام، وكلما وصل، لم يفوت الفرصة ليلقي بتعليق ساخر عن بحث كريم المستمر عن تلك الفتاة المثالية. في كل مرة كان يسأل: "هل وصلتْ ملهمتك! أم أنني سأضطر إلى الانتظار لزيارتي القادمة؟!".

رد كريم بلطف: "ليس بعد يا صديقي، ولكنني واثق أنها قادمة".

ضحك وسام وقال: "أعتقد أنك قد لا تلقاها في الجنة أيضًا، يا صديقي، لا تتوقع أن تسقط من السماء في هذا الوقت القريب!".

كان وسام، بخفة روحه وتعليقاته التي لا ترحم، دائمًا ما يجد طريقه إلى قلب كريم. لم يكن هناك موضوعات محرمة أو ممنوعة بينهما، فكلاهما عرف الآخر منذ أيام الدراسة الثانوية في مدرسة ثانوية تعز الكبرى، ذلك الصرح التعليمي الشامخ الذي كان يلتحق به نوابغ الطلبة في تعز، ليصبحوا لاحقًا أطباء، مهندسين، وأساتذة في كل أرجاء اليمن، وحتى خارج اليمن.

وسام، وهو ينفخ دخان أرجيلته، بابتسامة عريضة: "على أي حال، سنرى إن كانت زياراتي القادمة إلى الدوحة ستصادف ظهور هذا القمر الذي تبحث عنه. ربما يكون هناك نيزك في طريقه لتحطيم أحلامك". ثم أضاف ممازحًا: "على فكرة، متى تفهم أنني أنا الملهم الحقيقي هنا؟" ضحك كريم من أعماقه، وعلق بذكاء: "أنت ملهمي في فن السخرية".

في تلك الزيارة المعتادة، جلس وسام مقابل كريم كما يفعل في كل مرة، مستعدًا ليلقي تعليقاته الساخرة عن بحثه الذي لا ينتهي عن "القمر". لكن هذه المرة، كان هناك شيء مختلف. لاحظ وسام أنَّ كريم أكثر هدوءًا، وأن الابتسامة على وجهه تحمل شيئًا خفيًا. فكر للحظة، ثم سأل:

"يا كريم، ألم تأتِ ملهمتك هذه المرة؟".

ثم أضاف ساخرًا: "أصبحتُ أزور الدوحة أكثر من زيارة أي شخص آخر في حياتي، ومع ذلك لا أرى أي أثر لهذه الملهمة".

ضحك كريم، لكنه لم يُجب. وسام، بتلك النظرة الثاقبة التي عرف بها صديقه جيدًا: "يا كريم، أصبحت تخفي علي أخبارك كفتًى مراهق يخاف من أبيه. هيا قل لي، من هي؟ ووفِّر عليَّ الوقت". كانت تلك اللحظة محرجة لكريم، فقد قرر أن يُخفي على صديقه هذه المرة أنه وجد "ملهمته". كانت هناك رغبة غريبة في قلبه أن يحتفظ بهذا السر، ربما ليختبره أكثر، ربما خوفًا من تعليقات وسام التي يعرف جيدًا أنها لن ترحمه.

اكتفى كريم بابتسامة خفيفة، وبتلك الطريقة التي اعتاد بها أن يتملص من الأسئلة، قال: "لا شيء جديد يا صديقي، فقط البحث نفسه، لكنني واثق أنها قادمة". رفع وسام حاجبيه في شك، وقال بخبث: "أها! لا شيء جديد، أليس كذلك؟ تلك الابتسامة تخفي الكثير، لكن لا بأس. سأكتشف الأمر بنفسي، فلا يمكنك إخفاء شيء علي طويلًا".

ظل كريم يبتسم، بينما واصل وسام تعليقاته اللاذعة كعادته، لكنه في داخله كان يعرف أن صديقه بدأ يشك، وربما كان ينتظر الفرصة المناسبة للكشف عن السر.

الوجه القديم

"الماضي يشبه ظلًا ناعمًا يرافقنا أينما ذهبنا، لا يمكننا إخفاؤه، لكننا نحاول أحيانًا دفنه. وعندما ينبثق فجأة إلى النور، يكشف لنا عن حقائق لم نكن مستعدين لمواجهتها".

في أحد الأيام، وبينما كان كريم جالسًا في غرفته، مستغرقًا في أفكاره المعتادة حول حياته وعلاقته بزينة، شعر بدافع غريب من الفضول يتسلل إلى ذهنه. كانت تلك اللحظات التي يغلب عليها الفراغ، حيث يبدأ العقل في البحث عن أي شيء يشغله. بدون تفكير عميق، أمسك هاتفه وفتح محرك بحث جوجل. كتب اسم زينة، مضيفًا اسمها الأخير، وكأنه يبحث عن تفاصيل إضافية عنها. في البداية كان الأمر مجرد فضول، لكنه لم يكن يعلم أن ما سيكتشفه سيغير كل شيء.

ما أن ضغط على زر البحث، حتى بدأت النتائج تتدفق أمام عينيه. صور وفيديوهات، لم يكن يتوقع أن يرى ما رآه أبدًا. توقف للحظات، مصدومًا مما يراه. كانت زينة، المرأة التي أحبها وارتبط بها، تظهر على الشاشة أمامه، لكن ليس كما عرفها. اكتشف أنها كانت ممثلة تلفزيونية في المغرب، شاركت في عدد من المسلسلات، وأن لها تاريخًا فنيًا لم يكن يتوقعه أبدًا. الصور والفيديوهات كانت واضحة، توثق لحظات من حياتها لم تخبره عنها قط.

شعر كريم كما لو أن الأرض انشقت تحت قدميه. فار الدم في عروقه، وعقله لم يستوعب ما يراه. كيف لم تخبره زينة عن هذا الأمر؟! كيف أمضى كل هذا الوقت معها دون أن يكون لديه أدنى فكرة عن هذا الجانب من حياتها؟ الأسئلة بدأت تتدفق في ذهنه دون توقف. لماذا أخفت علي هذا السر؟! ولماذا لم أشعر بدافع للبحث من قبل؟!

جلس في صمت لبرهة، عيناه لا تزالان تحدقان في الشاشة. المشاعر كانت تتصارع داخله. كريم قادم من بيئة محافظة، حيث التقاليد والعادات تحكم كل شيء، والارتباط بفتيات من خلفيات كهذه يعتبر أمرًا مستهجنًا. لم يكن الأمر متعلقًا فقط بماضي زينة المهني، بل بالطريقة التي اكتشف بها ذلك. لم يكن مستعدًا لمثل هذا الاكتشاف، ولم يكن يعرف كيف يتعامل معه.

بدأ يخوض حوارًا عميقًا مع ذاته. حاول أن يفهم مشاعره المتضاربة. من جهة، كان يحب زينة، وكان يرى فيها شريكة حياته. ولكن من جهة أخرى، كيف يمكن أن يتجاوز ما اكتشفه؟! كيف يمكن لرجل نشأ في مجتمع تحكمه عادات صارمة أن يتقبل الارتباط بامرأة كانت جزءًا من عالم التمثيل، وهو العالم الذي لطالما كان ينظر إليه في بيئته بنظرة سلبية؟!

حاول أن يكون عقلانيًا، أن يفصل بين الحب والحكم الاجتماعي. لكنه كلما فكر في الأمر، كان يجد نفسه غارقًا أكثر في الصراع الداخلي، صراع بين الحب من ناحية والعادات والتقاليد من ناحية أخرى.

على الفور، اتصل كريم..

كعادتها في الردود المتأخرة، لم تجب في البداية. وكأنها تملك الوقت بأكمله، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفًا. لم يستطع كريم الانتظار أكثر، فأرسل لها المقاطع التي وجدها على واتسآب، وكتب بلهجةٍ غاضبة: "ما هذا؟!".

زينة، حين رأت الرسالة، أدركت على الفور أن السر الذي كانت تخفيهِ على كريم قد انكشف. تراجعت قليلًا إلى الوراء، وكأن الهواء حولها أصبح ثقيلًا فجأة. لم يكن هناك مهرب، لقد عرف كل شيء. اتصلت به بصوت متوتر، محاولة تهدئة الأمور قبل أن تخرج عن السيطرة: "كريم، أرجوك، اهدأ. سنلتقي في المساء ونتحدث عن كل شيء. سأشرح لك". طلبت منه أن يحجز جناحًا في الفندق المطل على الكورنيش، الفندق الذي قضيا فيه أول أيام زواجهما، كأنها أرادت أن تعود بتلك اللحظة إلى بداية شيء كان جميلًا يومًا ما.

في المساء، وصلت زينة إلى الجناح بملابس بهرت كريم. كانت ترتدي فستانًا أسود أنيقًا، يمتد بطول جسدها برُقيّ، وفي أعلى الفستان، حول منطقة الصدر، كانت هناك لمسات من البياض تكسر اللون الأسود، مما زاد الفستان جمالًا، كريم يعرف تلك التصاميم، إنها ماركة ديور. لم يكن الأمر يقتصر على الفستان فقط؛ فقد كانت تلبس أقراطًا ماسية وعقدًا فاخرًا، كانا لافتين لدرجة أن كريم عرف على الفور أنهما من ماركة تيفاني. وكانت تلك التفاصيل تروي حكاية حياتها السابقة التي بدأ للتو يكتشفها.

بمجرد أن جلست، بدأت الحديث بهدوء، قائلة: "ملابسي، جواهري.. هذه ليست مجرد أشياء. إنها رمز لحياتي السابقة، تلك التي كانت مليئة بالأضواء والترف. كنتُ أول من يشتري أحدث الإصدارات من الملابس والمجوهرات. هذه هي زينة التي كنتُ، ولم أكن أريد أن تعرفني بهذه الصورة".

نظرت إليه مباشرةً، بعينيها اللامعتين، وقالت بدون مقدمات: "أريدك أن تتوقف عن البحث في ماضيّ. لقد أغلقته نهائيًا منذ زمن. لم أكن أرغب أن أكون تلك المرأة بعد الآن. أريد حياة جديدة معك، بعيدًا عن كل ما كنتُ عليه". أضافت: "واحد من أسباب تركي التمثيل التلفزيوني أنها مهنة لا تتفق مع عادات وتقاليد قبيلتي في أغادير، ولم يكن والدي يعرف عن حياتي في التمثيل شيئًا، ولو كان اكتشف الأمر لغضب غضبًا شديدًا".

كريم كان مشدوهًا، مشوشًا، كلماتها كانت تثير داخله تساؤلاتٍ لم يكن يعرف كيف يجيب عنها. لم يستطع أن يتجاهل ما اكتشفه، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يعرف كيف يتعامل مع تلك الحقيقة التي انهالت عليه فجأة. ظل كريم متناثرًا بين العواطف، غارقًا في صراع داخلي بين الماضي الذي لم يعرفه والحاضر الذي لم يعد يفهمه.

جلس في صمتٍ ثقيل، عيناه تجوبان المكان، ثم استجمع نفسه قليلًا وقال: "زينة، لا يمكنني أن أتجاهل ما عرفت. أشعر بالخيبة لأنكِ أخفيتِ علي جزءًا مهمًا من حياتك. أنا لم أكن أبحث عن ماضٍ مثالي، ولكن عن الحقيقة. كيف يمكنني المضي قدمًا ونحن نبني علاقتنا على أساس غير صحيح وعلى إخفاء معلومات جوهرية؟".

حين يكون الألم أعمق من الجرح

"الألم تجربة حسية وعاطفية بغيضة، متعلقة بقرار فعلي نسيجي أو كامن".

اتصل بي صديقي كريم في إحدى الليالي وصوته منهك، أدركتُ أنه ليس على ما يرام. ذهبتُ مُسرعًا للقائه. عندما وصلتُ ورأيت وجه كريم الشاحب، أدركتُ أن هناك ألمًا ليس مجرد ألم عادي، بل كان شيئًا أعمق. ألمًا يلتف حول الروح ويطوق القلب من جميع الاتجاهات. لم أرَ كمية هائلة من الألم كتلك التي أصابت صديقي كريم في مقتل عندما اكتشف تلك المعلومة التي أخفتها عليه. كان ذلك الاكتشاف كأنه سكين غرست ببطء في قلبه، لم يكن الجرح ظاهريًا، بل كان في أعماقه، حيث لا يمكن لأي دواء أن يصل.

حاولتُ إخراجه من تلك الهوة بكل ما أوتيتُ من جهدٍ وحيلة. استنزفتُ كلَّ ما لديَّ من نصائح وكلمات مواساة، لكن كلما حاولت الاقتراب، شعرت بأنني أواجه جدارًا صلبًا. لم يكن الألم مجرد جرح لحظي يمكن تجاوزه، بل كان خيبة أمل عميقة، انهيارًا للثقة والأمان اللذين بناهما في داخله تجاه زينة.

كان كريم يغرق في صمته، تلك النظرات التي كان يلقيها في الفراغ كانت كافية لتكشف لي أن الأمر قد تجاوز الكلمات. كنت أعرف أن هناك شيئًا قد انكسر بداخله، شيئًا لم يكن من السهل إصلاحه. كان الألم ناتجًا ليس فقط عن اكتشاف ماضيها، بل عن الشعور بالخيانة، الشعور بأن الشخص الذي أحبه وأعطاه ثقته كان يخفي عليه جزءًا كبيرًا من حياته.

شعرت أنني أمام شخص قد انطفأ فيه ذلك النور الذي كان يشع من داخله. لم أفلح. كان كريم يعيش ألمًا لا يمكن للكلمات أن تخففه، وكأن تلك اللحظة أعادت تشكيل عالمه بالكامل، وجعلته يتساءل عن كل شيء من جديد.

المهم، بعد أن خاض كريم صراعًا مريرًا مع ذاته، قرر حسم الأمر، بأن الماضي ماضٍ وانتهى، وأن الأهم هو الحاضر والمستقبل.

الهوية في مواجهة الأحكام المسبقة

ليس علينا أن نحمل على أكتافنا أوزار الآخرين، فكل شخص هو قصة مستقلة، الحب هو من يُعيد تعريف الهويات.

كانت الليلة هادئة، إلا أن أسئلة زينة لم تكن كذلك. كان في ذهنها سؤال يشغلها منذ مدة، وأرادت أن تطرحه على كريم دون تردد. جلست بجواره على الشرفة المطلة على البحر، لكن في داخلها كانت أفكارها تعصف. استدارت نحو كريم وقالت بصوت هادئ لكنه يحمل داخله ثقل التساؤل:

"كريم، لماذا ينظر المجتمع الخليجي عادة للفتاة المغربية تلك النظرة؟!".

توقف كريم لبرهة، وكأنه كان يتوقع هذا السؤال في يوم ما، لكنه لم يكن مستعدًا تمامًا للإجابة. التفت إليها، يبحث في عينيها عن طريقة ليختار كلماته بعناية، حتى لا يقول شيئًا قد يجرح مشاعرها. ثم قال ببطء، محاولًا أن يكون صادقًا ولطيفًا في الوقت ذاته:

"لا أتفق مع تلك النظرة، في كل مجتمع توجد الفتيات الجيدات، وتوجد الفتيات السيئات. تعميم النظرة على جميع الفتيات المغربيات غير ملائم ولا عادل".

لم تكتفِ زينة بإجابته، وكأنها كانت تنتظر منه أن يتعمق أكثر. سردت له العديد من القصص التي تعرفها، كيف تُعاملُ بعض المجتمعات الفتاة المغربية التي ارتبطت أو تفكر في الارتباط بأحد أبنائها. كان الحديث صادقًا وصريحًا، لكنها كانت تشعر بثقل تلك القصص على قلبها. كانت تعرف أن تلك النظرة تحمل معها ظلمًا وتحيزًا كبيرَين.

قالت وهي تتابع: "هناك أسر ترفض الفتاة المغربية، حتى لو كانت ملتزمة وشريفة، لمجرد أنهن يحملن تلك الهوية. سمعت قصصًا كثيرة عن عائلاتٍ تمنع أبناءها من الزواج بمغربية، فقط لأنها مغربية. هل تعتقد أن تلك النظرة ستتغير يومًا؟!".

كريم استمع إلى زينة بعمق، محاولًا أن يفهم مشاعرها بشكل كامل، لكنه في الوقت نفسه كان يحمل في داخله ثقل تجارب سمعها من أصدقائه ومن الآخرين. التفت نحوها بعينيه اللتين حملتا مزيجًا من الحزن والتأمل، ثم قال:

"زينة، أقدر مشاعرك، وأتفهم تمامًا أنك قد شعرت بالظلم من تلك النظرة العامة. ولكن، بصراحة، جزء كبير من هذه الأفكار نشأ نتيجة لتصرفات متكررة من بعض الفتيات. تصرفات لم تكن خافية على أحد، وأدت إلى تأثر السمعة العامة بشكل كبير. هناك بالفعل حالات كثيرة كان فيها السلوك غير لائق، وهذا ما دفع البعض إلى تعميم فكرة سلبية عن الفتيات المغربيات. أعلم أن الأمر ليس عادلًا، ولكن الحقيقة أحيانًا تكون أكثر قسوة مما نود".

تأملت زينة ما قاله للحظة، ثم ردت بصوتها الهادئ، ولكنه كان يحمل تساؤلًا عميقًا:

"لكن، لماذا يجب أن يدفع الجميع ثمن أخطاء البعض؟ لماذا لا يتم التفريق بين الفتاة الصادقة والملتزمة، وتلك التي تستغل الناس؟ أشعر أن هذه النظرة تجعلنا جميعًا متهمين بدون محاكمة".

كريم أومأ برأسه، معترفًا بصحة ما تقوله. استمر في حديثه، محاولًا أن يوضح ما يجول في خاطره:

"أعرف أن هذا غير عادل، ولا أقول إن كل المغربيات يتصرفن بهذه الطريقة، لكنني سمعت العديد من القصص من أصدقائي هنا في قطر، في السعودية، وفي دول خليجية أخرى. بعضهم دخلوا في علاقات جادة وارتباط شرعي مع فتيات مغربيات، ليكتشفوا في النهاية أنهم وقعوا ضحية استغلال مادي. يطلبن نفقات باهظة، وكأن الزواج مشروع استثماري يهدف إلى تحقيق أعلى عائد. وعندما لا يتحقق هذا العائد بالشكل الذي يتوقعنه، يبدأن باختلاق الأعذار لإنهاء العلاقة والمضي قدمًا في مشروع استثماري جديد".

زينة، وهي تتابع كلامه، بدأت تفهم أكثر ما يقصده، لكنها شعرت بمرارة تلك القصص. قالت له:

"هذا محزن حقًا. لا أستطيع إنكار وجود مثل تلك الحالات، لكن ما يؤلم هو أن هناك فتيات مغربيات صادقات وملتزمات يدفعن الثمن من سمعتهن بسبب تصرفات الآخرين. هذا التعميم القاسي يقتل فرصتنا في الحب الصادق والعلاقات النزيهة".

كريم نظر إليها، محاولًا تهدئتها، ثم تابع:

"أعلم يا زينة، وأنتِ تعلمين جيدًا أنني لا أومن بالتعميم. لم أكن يومًا من الأشخاص الذين يحكمون على الآخرين بناءً على جنسياتهم".

رسائل ليلية

في إحدى الليالي بدأت الرسائل تصل إلى هاتف كريم في منتصف الليل. كانت رسائل قصيرة، غامضة، تحمل تهديدات غير مباشرة مثل: "أعرفُ أين أنت"، "حذارِ من التقدم أكثر"، "لن تكون الأمور على ما يرام إذا استمررت"، لم يكن يعرف من المرسل، لكن الرسائل كانت تزداد تكرارًا وحدّةً مع مرور الأيام. بدأ القلق يسيطر عليه، خصوصًا أن بعضها يشير إلى زينة بشكل غير مباشر: "احذر عليها".

كريم حاول في البداية تجاهل الأمر، لكنه لم يستطع طرد تلك الرسائل من ذهنه. قرر أن يبقى صامتًا، فكر في إخبار زينة، لكنه خاف أن يزيد قلقها. حاول كريم أن يظل هادئًا ويحميها من الخوف، ولكنه شعر بأن التهديدات قد تصبح جادة.

في أحد الأيام، بينما كان كريم عائدًا إلى المنزل، لاحظ أن هناك سيارة سوداء تتبعه ببطء. قلبه بدأ ينبض بقوة، لكنه حاول الحفاظ على هدوئه. زاد من سرعته قليلًا، والسيارة فعلت الشيء نفسه. كانت تلك اللحظة التي أدرك فيها أن التهديدات لم تعد مجرد كلمات.

في الليل، تلقى كريم اتصالًا مجهولًا. الصوت كان منخفضًا، هادئًا، لكن يحمل نبرة تهديد واضحة: "أنت تعرف ما عليك فعله. ابتعد، وإلا..".

كريم أغلق الهاتف بسرعة وقرر أن يبحث في الأمر بنفسه. بدأ يتحقق من كاميرات المراقبة في المنزل، ويتواصل مع أصدقائه في الأمن.

لاحظت زينة أن كريم ليس على ما يرام. زينة: "كريم، ما لك متوتر هذه الأيام؟ في شي غريب في تصرفاتك... حسيت إنك تحاول تبعدني عن شي". كريم (يحاول التظاهر بالهدوء): "لا، ما فيه شي. بس الشغل ضاغط شوي".

زينة (بنبرة قلق): "كريم، أنت مش من النوع اللي يخبي. حسيت من زمان إن فيه شي كبير.. الآن لازم أسمع الحقيقة".

كريم يتردد لوهلة، ثم يستسلم.

كريم: "طيب، رح أقولك... بس خليكي هادئة. صرت أتلقى رسائل تهديد من فترة. ما كنت أبغاكي تعرفين، ما بغيت أخوفك". زينة (بصدمة): "تهديدات؟ كيف يعني تهديدات؟ وليش ما قلت لي؟ أنا معاك في هذا الشي، مو لازم تخبي عني".

كريم (بنبرة هادئة): "ما بغيتك تشيلي هم، الرسائل كانت غامضة بس تهدد سلامتي... وسلامتك كمان. وأنا قاعد أحاول أكتشف مين ورا الموضوع". زينة (بانفعال): "وسلامتي؟ كيف تقدر تخبي عني شي زي هذا؟! أنا جزء من حياتك. كريم، ما يصير تخلي الأمور تمشي كذا لوحدك. إذا فيه خطر، لازم نواجهه مع بعض".

كريم (بتنهيدة): "عارف.. بس كنت خايف إنك تخافي زيادة. أنا اللي لازم أحميك".

زينة (بصوت صارم): "لا، كريم. الحماية ما تكون بإخفاء الأمور. الحماية تكون بالصدق والتواصل. كيف نقدر نحمي بعض إذا كنا نخبي الأسرار؟". كريم (يشعر بالندم): "أنتِ على حق. بس والله كنت خايف عليك".

زينة (بحنان): "وأنا خايفة عليك. عشان كذا لازم نواجه هذا الشي مع بعض".

في اليوم التالي، تلقى كريم رسالة أخرى: "لقد حذرتك. هذه فرصتك الأخيرة". عند هذه النقطة، أدرك كريم أن الأمر أصبح خطيرًا جدًا، ويجب اتخاذ خطوات عملية لحماية نفسيهما.

لجأ كريم إلى أصدقائه في الشرطة وطلب تعزيزات أمنية حول منزله. في تلك الليلة، اتفق مع زينة على مواجهة التهديدات معًا، وعقد اجتماعًا مع أصدقائه في الأمن لتحديد مصدر التهديد. أثناء اجتماعهم، جاءت مكالمة من رقم مجهول إلى كريم، أخبره الشخص بأنهم يعرفون مكانه الآن. أصبح رجال الأمن في حالة تأهب، وبدأ البحث عن مصدر المكالمة وتتبعها. اكتشف أن التهديدات ناتجة عن محاولة ابتزاز من شخص مجهول له صلة بخطيب زينة السابق، الذي كان يحاول تحطيم علاقتهما.

المرايا المهشمة

"نحن نكسر المرايا لنرى الوجوه الحقيقية خلف الزجاج المهشم، حيث تتعرى الحقائق التي كانت مخفاة". – مجهول

مع مرور الأيام، بدأ كريم يلاحظ أن زينة لم تكن تمامًا تلك الصورة المثالية التي كانت تضيء حياته في البداية. شيئًا فشيئًا، بدأت تتكشف أمامه جوانب أخرى من شخصيتها، تلك العُقد السابقة بدأت بالظهور من جديد. عقد مخفاة بعناية تحت قناع الهدوء والجاذبية. في البداية كانت إشارات صغيرة، تعليقات عابرة تحمل في طياتها تفوقًا مستترًا، وكأنها ترى العالم من نافذة ضيقة لا يدخل منها سوى ضوء يعكس صورتها فقط.

كانت زينة تتحدث دائمًا عن نفسها، بطول وعرض. تُعيد صياغة الأحداث لتصبح فيها البطلة الوحيدة، حتى لو كان الحديث عن شيء بسيط. بدأت تظهر عليها صفات نرجسية لم يكن كريم يلاحظها في البداية، أو ربما كان يتغاضى عنها، إذ كان يبرر تصرفاتها بحبه الكبير لها. ولكن مع الوقت، أصبحت تلك التصرفات واضحة، متكررة، ومؤلمة.

كانت زينة تعتقد دائمًا أنها الأذكى، الأفضل، والأكثر استحقاقًا لكل شيء. أي نقد مهما كان بسيطًا كان يفسر على أنه هجوم شخصي، وأي محاولة لتوجيهها كانت تُقابل بجدار من العناد واللامبالاة. كريم، بطبيعته الصبور، حاول مرارًا أن يناقشها بلطف، أن يشرح لها أن الحب يقوم على التفاهم والاعتراف بالخطأ، ولكنها كانت ترفض حتى أن تسمع.

في كل مرة كان يحاول كريم أن يفتح معها حوارًا صريحًا حول ما يشعر به، كانت تلتف حول الموضوع بمهارة، تُعيد توجيه الحديث ليصبح عنه هو، عن قصوره وعن أخطائه المزعومة. لم يكن أمامه إلا أن يشعر بأن كل محاولاته للتحاور معها تتحطم على صخور عنادها ونرجسيتها.

قال لها يومًا بصوت هادئ: "زينة، أنا أحبك وأريد أن نكون معًا، لكنني أشعر أنك لا تريننني. كل شيء يدور حولكِ، وكل مرة أحاول أن أشرح لك، تتحولين إلى الدفاع عن نفسك وكأنني أهاجمك".

نظرت إليه بعينين باردتين، وابتسمت ابتسامة زائفة وقالت: "أنت تبالغ، كريم. لا أحد يفهمني كما أفهم نفسي، وأعتقد أن مشكلتك هي أنك لا تعرف كيف تتعامل معي".

قال لها: "هل أشعرتكِ يومًا أنك ليست مميزة؟! هل لاحظتِ أنك لم تكوني من أولى أولوياتي؟". قالت: "لا، بل دومًا تعاملني بشكل مميز، وبأني في قائمة أولوياتك". أجاب: "فلماذا لا أجد معاملة بالمثل؟!". أجابت: "أنت تعرف أني أحبك وأنك مميز، ولكن أحيانًا لا أستطيع التعبير عن ذلك؟!".

شعر كريم بالخيبة تتسرب إلى قلبه. كيف يمكنه أن يشرح لها أن ما تفعله يضرُّ بعلاقتهما؟ كيف يمكنه أن يناور ويبرر دون أن يفقد نفسه في محاولات عقيمة؟ كان كل حديث ينتهي بالطريقة نفسها، تريد أن تخرج منتصرة، وكأنه وحده من عليه أن يتغير.

أدرك في النهاية أن تلك الصفات كانت كالجدار الذي يفصل بينهما. مهما حاول أن يحطم هذا الجدار، تعيد زينة بناءه من جديد، أقوى وأكثر صلابة. ومع مرور الوقت، بدأ كريم يفهم أن النرجسية ليست مجرد صفة عابرة، بل هي قوة مدمرة قادرة على تدمير الحب والتفاهم، وعلى تشويه العلاقات وتحويلها إلى ساحة معركة لا غالب فيها ولا مغلوب، سوى القلوب التي تتحطم في النهاية.

كانت تقضي أحيانًا بعض الليالي، في سكنها، مع مرور الوقت، وعندما تكون بعيدة يزداد الشوق للقاء بلهفة، بينما كانت هي تبدو وكأنها تُخطط لتأجيل كل شيء. رسائلها أصبحت تصل متأخرة، باردة، مليئة بالعبارات الجافة التي تخلو من أي اهتمام. "آسفة، كنت مشغولة"، "لدي اجتماع مهم"، "سأتصل بك لاحقًا" – كانت هذه العبارات تتكرر وكأنها محفوظة عن ظهر قلب، بلا شعور حقيقي خلفها.

كريم، رغم صبره وحبه اللذين لا يعرفان حدودًا، لم يكن يستطيع تجاهل هذا البرود. كل مرة كان يحاول أن يلفت انتباهها إلى ما يحدث، كان يجد نفسه في مواجهة جدار من الأعذار التي لا تنتهي: "لم أقصد أن أكون باردة، فقط أعيش أيامًا مزدحمة"، كانت تقول، وكأن حياتها تدور في مدار آخر بعيدًا عن مدارهما المشترك.

أصبح هذا الموضوع محل خلاف دائم بينهما. كان كريم يشعر أن شيئًا ما ينقص، أن التواصل بينهما أصبح شاقًّا وكأنه يتحدث إلى شخص لا يرغب في الاستماع. قال لها في أحد الأيام، بصوت يمزج بين الحزن والإحباط: "زينة، لا أطلب الكثير. اهتمامًا حقيقيًا بما يحدث بيننا، هذا الاهتمام هو ألف باء الحب والزواج الناجح".

نظرت إليه بعينيها الواسعتين، مائلة برأسها قليلًا وكأنها تفكر في أمر عظيم، ثم قالت: "أعلم أنني قد أكون أحيانًا مشغولة، لكنني سأحاول التغيُّر.. سأكون أفضل". كان جوابها يحمل وعدًا، ولكنه كان وعدًا فارغًا، مثل السحابة التي لا تمطر.

في المرة التالية دار بينهما حوار:

زينة: "كريم، ألا ترى أنك تتحسس من أبسط الأشياء؟ أحيانًا تكون ردات فعلك مبالغًا فيها لدرجة أنني لا أستطيع فهم سببها".

كريم، محاولًا الحفاظ على هدوئه: "هذه ليست مجرد "أشياء بسيطة" يا زينة، بل هي الأساسيات التي تُبنى عليها العلاقة والزواج. إذا لم نتمكن من فهمها أو معالجتها، فكيف نتوقع أن ننجح؟".

زينة، بنبرة تحمل مزيجًا من الاستياء والحيرة: "لكن يا كريم، تقلباتك المزاجية عالية جدًا. أحيانًا تكون متفهمًا وهادئًا، وفي أحيان أخرى، تتغير فجأة".

كريم، بحزم: "ربما... لدي لحظاتي، نعم، لكنني أحاول. على الأقل أعترف بنقاط ضعفي".

زينة، تتنفس بعمق قبل أن ترد: "لكن أيضًا، كريم، تفقد الصبر بسرعة، وتتصرف أحيانًا بتسرع. لا تترك الأمور تهدأ قبل أن تتخذ قراراتك".

كريم، بنبرة صادقة، ولكن مرهقة: "صحيح، لا أنكر. لكن الفارق بيننا هو أنني أملك الشجاعة لأعترف بخطئي. لا أختبئ خلف أعذار ولا أجعل من الصعب على نفسي الاعتراف بذلك".

زينة، تشعر بثقل كلماته: "لا أختبئ خلف أعذار، كريم. فقط... أحيانًا أشعر أنني في معركة مستمرة بين ما أريد وما تتوقعه مني. كأنني لا أستطيع إرضاءك".

كريم، بتنهيدة ثقيلة: "لا أريد منكِ أكثر مما تستطيعين تقديمه، لكنني أحتاج إلى الصدق. إذا كنتِ غير قادرة على الاعتراف بمشكلاتك ،فكيف يمكننا أن نتقدم؟!".

خيَمَ صمتٌ على المكان للحظة. كل كلمة قالها كريم حملت في طياتها عمق العلاقة المتأرجحة بينهما. كانت زينة تحاول أن تستوعب ما قاله، وكريم كان ينتظر إجابة تتجاوز الكلمات المعتادة.

زينة، بصوت منخفض ومشحون بالمشاعر: "أحاول يا كريم، فقط... لا أريد أن أفقدك. لكنني أحتاج أيضًا إلى أن أفهم نفسي أولًا".

كريم، وقد شعر بصدقها أخيرًا: "إذا كنتِ تريدين ذلك فعلًا، يجب أن نبدأ من هنا. يجب أن تكون لدينا الشجاعة لمواجهة كل شيء، حتى لو كان مؤلمًا".

العطلة الصيفية

"العطلة الصيفية هي تلك اللحظة التي يتوقف فيها الوقت، ليفسح المجال للروح كي تتنفس". – عبارة منسوبة لألبرت كامو

الفترة التي قضياها معًا، وبخاصة الأيام الأخيرة لم تكن على ما يرام، قرَّر كريم أن يأخذ إجازة صيفية بعيدًا عن حرارة الدوحة التي أصبحت لا تحتمل. اختار الولايات المتحدة وجهةً له، وخاصة ولاية تكساس، حيث يستمتع بوقته بين الطبيعة الهادئة والمدن النابضة بالحياة. كان يأمل أن تكون تلك الإجازة فرصة للتفكير، لإعادة ترتيب مشاعره والابتعاد قليلًا عن كل ما أثقل عليه مؤخرًا. لكن، وكما أدرك سريعًا، زينة كانت جزءًا من تلك الرحلة، حتى لو لم تكن بجسدها.

في بداية سفره، حاولت زينة أن تعيد دفء التواصل. رسائلها كانت تصل في الوقت المناسب، كلماتها مشحونة بالعاطفة التي توقظ قلبه وتشعره بأنه ليس بعيدًا عنها رغم المسافات. في كل مرة كان هاتفه يصدر إشعارًا، كانت ابتسامة ترتسم على وجهه قبل حتى أن يفتح الرسالة، وكأن قلبه يعرف ما ينتظره.

كانا يقضيان ساعات يتحدثان على الهاتف. في إحدى الليالي سألته عن صديقته دكتورة نورة، خاصة وأنها تعرف أنها تقيم في الولاية نفسها. كريم: "ما أخبار صديقتك نورة؟". كريم: "هي بخير، تقضي سنتها الأخيرة في قسم الأعصاب، وتأمل في التخرج قريبًا، لتصبح أول سعودية في مجال دقيق متعلق بسرطان الدماغ". زينة: "لا شكَّ أن علاقتكما قوية، إذْ إنك تعرف كل تفاصيل حياتها". كريم: "نعم، نورة صديقة عزيزة وشغوف، كما أنها دائمًا تطمئن على أخباري، ومنذُ مدة قصيرة سألتني عنكِ".. زينة: "جد؟! ماذا؟ سألت عني؟". كريم: "سألت عن أخبارك وكيف هي أمورنا معًا، وفي الحقيقة تعرف بحدسها متى تطيرين بي إلى أعالي السماء، ومتى تهبطين بي إلى أعماق الأرض". غضبت زينة من كريم، وبدأ القلق يساور قلبها مرة أخرى، طمأنها كريم، أن زينة هي الحب الأول والأخير، ولكن يجب على زينة أن تقاتل بشدة لأجل هذا الحب، كما يقاتل كريم.. كان يتوقع كريم أن يستثير زينة لتقاتل، لكن.. ما حصل هو العكس.

بعد هذا الحوار شيءٌ ما بدأ يتغير. تدريجيًا، وبصورة غامضة، أصبحت رسائلها تتحول من مشعَّة ودافئة إلى باردة ككتلة ثلج. الرسائل التي كانت تصل في الصباح المشرق أصبحت تأتي في وقت متأخر من الليل، مليئة بالبرود واللامبالاة.

كان كريم يقضي يومه مستمتعًا بشواطئ هيوستن، أو بالتنزه في الحدائق الوطنية، وفي اجتماعات خاصة بشركته الاستشارية، ولكنه كان يشعر أن هناك شيئًا يشده نحو الأسفل، شيئًا يعكِّر صفوه. كلما ابتعد جسده عن الدوحة، كانت أفكاره تبقى هناك، تتشبث بزينة. تلك التي أصبحت في أحيان كثيرة مثل شبح بعيد، يطل برأسه من حين إلى آخر ليعيد إشعال قلبه، ثم يختفي بلا أثر، تاركة وراءها برودًا يُطفئ كل الحماسة التي كان يشعر بها.

بدأ التوتر يتسلل بينهما. كريم، ذلك الشخص الهادئ والمثابر، وجد نفسه يواجه صعوبة في فهم هذا التغيير، الصعود والهبوط المرهق. لماذا أصبحت زينة هكذا؟! كلما حاول أن يفتح نقاشًا معها حول ما يشعر به، التفَّت حول الموضوع بمهارة نرجسية، تُعيد الحديث إلى محور واحد: نفسها.

في إحدى الليالي، بينما كان كريم جالسًا على شرفة مطلة على المحيط، وصلته رسالة منها. فتحها بلهفة، لكنه وجد كلمات باردة، قصيرة، تفتقد أي دفء: "آسفة، كنت مشغولة طوال اليوم". جُملتها، رغم بساطتها، أثارت في داخله غضبًا لم يكن يعرف من أين يأتي. لقد تعب من هذه الأعذار المتكررة. كتب لها: "لماذا دائمًا تكونين مشغولة؟! أشعر أننا نفقد التواصل".

جاء الرد سريعًا، لكنه كان كالجليد: "أنت تبالغ، كريم. لدي حياتي، وأنا أحاول أن أوازن بين الأمور. إذا لم يعجبك الوضع، فهذا ليس بيدي".

الشيء الذي ربما لم تدركه زينة، أن للرجال، طاقة محدودة للتحمُّل والصبر. وعندما يصل الألم إلى نقطة لا عودة منها، قد يرحلون.

لا يعرفون التردد، ولا ينظرون إلى الوراء، حتى لو كان الحب يعصف بقلوبهم ويمزقهم من الداخل. يغادرون وكأن جراحهم أصبحت أثقل من أن يحملوها، وكأن كل لحظة إضافية تعني نزفًا جديدًا. يختارون الرحيل بصمت، يتركون خلفهم كل الذكريات، وكل ما كان يومًا جميلًا، لأنهم يعرفون أن العودة لن تجلب سوى المزيد من الألم.

بدأ كريم يشعر بأن حبلًا خفيًا يلتف حول عنقه، يجعله عاجزًا عن الكلام. أدرك فجأة أنه ربما وقع ضحية نرجسية زينة، وأنه كلما حاول أن يُظهر حبه واهتمامه، كانت تبتعد أكثر، تاركة وراءها فوضى عاطفية. بدأت حياته تتحول إلى جحيم مرة أخرى. لم يعد يستطيع التفكير في أي شيء آخر. كان يحبها نعم، ولكنه في الوقت ذاته كان يشعر بأنه يغرق في بحر من اللامبالاة والأنانية.

زينة، ببراعتها في التلاعب، كانت تلتفُّ عليه، تُعيد صياغة الحديث ليصبح هو المذنب، هو الذي يطلب الكثير. وبدلًا من أن تشعر بالندم أو تحاول التغيير، تزداد بُعدًا وبرودًا.

أصبحت حياة كريم، ذلك الرجل الناجح والمثابر، سلسلة من التوترات الداخلية. كان يستيقظ كل صباح وهو يشعر بالثقل على صدره، ويمضي يومه محاصرًا بأفكارها وتصرفاتها. حتى النجاحات المهنية التي كانت تجلب له السعادة لم تعد تكفي لتخفيف الألم الذي كان يشعر به. كل يوم كان يشهد على معركة داخلية، معركة بين حبه لزينة ورغبته في الحفاظ على كرامته.

لكنه أدرك في النهاية، وهو يجلس وحيدًا في شقته المطلة على المحيط، أن زينة لم تكن كما تصورها. كان يحب صورة مثالية رسمها لها في مخيلته، ولكن الحقيقة كانت أن تلك الصورة تحطمت تحت وطأة نرجسيتها. لقد كان سجينًا في علاقة تستهلكه بدلًا من أن تمنحه الحياة.

مرآة النرجسية.. حين تنكشف الحقيقة

"من يحارب الوحوش فعليه أن يحذر من أن يصبح هو نفسه وحشًا، وإذا نظرت طويلًا في الهاوية، فإن الهاوية ستنظر إليك". فريدريك نيتشه

في إحدى تلك الليالي التي كان فيها كريم يعيد التفكير في كل شيء، قرر أن يتحدث مع صديقه الاستشاري النفسي، الذي يعرفه منذ سنوات طويلة. كان كريم بحاجة إلى فهم ما يحدث في علاقته مع زينة، تلك العلاقة التي بدأت كسِحرٍ وجاذبية، ولكنها بمرور الوقت أصبحت تملؤها الفوضى والتيه. جلس كريم في مقهًى هادئ مع صديقه بعد أن اتفقا على أن يلتقيا في مدينة سان فرنسيسكو كي ينعشا إجازتيهما ويقضيا وقتًا ممتعًا معًا، التقيا في مقهًى ساحر وسط مدينة ساحرة.

بدأا الحديث، وبعد مرور وقت قرابة الساعة ونصف الساعة، أدرك الطبيب على الفور أنَّ كريم يعاني مشكلة تحتاج إلى دعم نفسي عاجل، لذا اقترح عليه مراجعة مركز استشارات نفسية في المدينة نفسها، حيث اتصل على أحد أصدقائه الذين يعرفهم بالمركز وطلب إدخالًا عاجلًا. ذهبا معًا إلى المركز الاستشاري، طلب الطبيبان من كريم أن يشاركهما كلَّ ما مر به في علاقته، من اللحظات الجميلة إلى الأيام القاسية. تحدث كريم بإسهاب وتفصيل وهما يحاورانه. الطبيب بدأ حديثه بهدوء وهو يحاول تحليل ما سمعه: "كريم، من كل ما قلته لي، يبدو أن زينة تحمل الكثير من الصفات التي تشير إلى شخصية نرجسية.

تعج كتب علم النفس بالعديد من السمات التي ترتبط بالنرجسيين، والتي أرى أنها تتطابق إلى حد كبير مع ما وصفته لي".

نظر كريم إلى صديقه بترقب، بينما تابع الاستشاري النفسي حديثه:

"أولًا، النرجسيون يظهرونَ في البداية ساحرين وجذابين للغاية. من الخارج، يبدون وكأنهم يملكون كل شيء، يجذبون الآخرين بثقتهم الكبيرة وسحرهم الشخصي. وهذا تمامًا ما حدث معك، أليس كذلك؟".

أومأ كريم برأسه، وهو يتذكر كيف كانت زينة في البداية، تلك المرأة التي أسرت قلبه بسحرها وأناقتها.

"لكن، خلف هذا السحر تكمن الأنانية وحب الذات المفرط. النرجسيون دائمًا ما يضعون أنفسهم في المركز، كل شيء يدور حولهم. وكما قلت لي، زينة كانت دائمًا تضع احتياجاتها ومشاعرها فوق أي شيء آخر".

كريم بدأ يدرك الآن أن تلك المواقف الصغيرة التي شعر فيها بأنه ليس محل اهتمام كانت جزءًا من هذه الصورة الأكبر.

"ومن الصفات الأخرى للنرجسيين، شعورهم بالعظمة والتفرد. زينة كانت دائمًا تتحدث عن نفسها وكأنها لا تُضاهى، أليس كذلك؟!".

رد كريم: "بلى، كانت دائمًا تشعر بأنها مختلفة، وأن الجميع يجب أن يعاملوها بطريقة خاصة".

ابتسم صديقه الابتسامة التي تحمل فيّ طياتها معرفة عميقة بهذا النمط من الشخصيات، ثم أضاف:

"بالضبط، وهذا يرتبط بشعور قوي بالاستحقاق. النرجسيون يشعرون أنهم يستحقون كل شيء، سواء كان ذلك الاهتمام، الثناء، أو حتى الموارد المالية. وهم عادة ما يعبرون عن هذا الاستحقاق بشكل متعالٍ وغطرسة. كما قلت لي، زينة كانت دائمًا تتوقع أن تحصل على كل ما تريده دون أن تعطي الكثير بالمقابل".

كريم شعر بأن كل كلمة تُقال تُظهر له حقيقة زينة أكثر فأكثر. لم يكن يريد أن يصدق ذلك في البداية، لكنه الآن بدأ يرى الصورة الكاملة.

"ولا تنسَ الحاجة المستمرة للإعجاب والثناء. النرجسيون دائمًا ما يبحثون عن شخص يمدحهم ويؤكد لهم مدى روعتهم".

كريم تذكر تلك اللحظات عندما كان يشاهدها تتلقى المديح من الآخرين، وتشعر بالسعادة الفورية وكأن ذلك يغذيها: "نعم، كانت دائمًا تحتاج إلى ذلك. أي انتقاد، حتى لو كان بسيطًا، كان يسبب لها أزمة".

استطرد صديقه: "وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة جدًا: عدم تقبل النقد. النرجسيون يكرهون النقد، حتى النقد البنّاء. يشعرون بأن أي انتقاد هو هجوم شخصي، وهذا يعيدنا إلى نقطة الشعور بالعظمة. زينة، كما وصفتها، كانت لا تستطيع تقبل النقد منك أو من أي شخص آخر".

أومأ كريم مجددًا. كان يتذكر كل تلك المشاجرات التي كانت تبدأ بمجرد أن يُعبر عن رأي مختلف أو يقدم ملاحظة.

"وأخيرًا، النرجسيون يعانون نقص التعاطف. لا يستطيعون رؤية مشاعر الآخرين أو الاهتمام بما يمر به الآخرون، لأنهم منشغلون بأنفسهم دائمًا. من خلال ما أخبرتني، زينة كانت تعطي الأولوية لنفسها دائمًا، دون أن تفكر في كيف تشعر أو تعاني أنت".

جلس كريم صامتًا للحظة، وكأنه يعيد ترتيب أفكاره. لقد أعطى صديقه صورة واضحة لكل ما كان يعيشه مع زينة، وهو الآن بدأ يفهم أن المشكلة ليست فيه، بل في تلك الصفات النرجسية التي تملكها.

سأله كريم بنبرة قلقة: "وما الحل؟ كيف أتعامل مع هذا الوضع؟".

أجاب الطبيبان بحكمة: "الحل يعتمد على ما تريد أنت. إذا كنت ترغب في الاستمرار في هذه العلاقة، فعليك أن تدرك أن النرجسيين نادرًا ما يتغيرون. يمكنك المحاولة، ولكن الأمر يتطلب جهدًا ضخمًا منك، وقد لا ترى نتائج إيجابية. وإن قررت إنهاء العلاقة، فهذا يعني أنك تحمي نفسك. النرجسيون يميلون إلى تدمير الآخرين نفسيًا وعاطفيًا، ولذا فإن الابتعاد عنهم هو في كثير من الأحيان الخيار الصحي".

صمت كريم للحظة، لكنه كان يعلم في قرارة نفسه أن الاستمرار سيؤدي به إلى الضياع. كان يحتاج إلى هذه الجلسة ليحصل على التشخيص الواضح،

وليتخذ القرار الذي يضع حدًا للوجع المستمرّ.

علمت زينة أن كريم ذهب إلى مستشفى إم دي أندرسون لعمل فحوصات دورية. فاتصلت به. الصوت كان يحمل بعض التوتر، على الرغم من أنها حاولت إخفاءه. زينة (بتردد): "كيف حالك اليوم؟ سمعت أنك كنت في موعد مع دكتورة نورة مرة أخرى؟". كريم (بلا مبالاة): "أجل، نورة قدمت لي دعمًا كبيرًا هنا. تعرفين كيف هو الأمر، من الجيد أن يكون لديك شخص قريب يساندك". زينة (بنبرة غير مستقرة): "أجل، أفهم... يبدو أنها قريبة جدًا منك هذه الأيام". كريم (يشعر بتغير في نبرة صوتها): "نعم، إنها صديقة. لا أرى أن هناك شيئًا غير طبيعي في ذلك". زينة (تختبر رد فعله): "فقط أتساءل، هل كل هذا الوقت الذي تقضيه معها يجعلك تفكر في شيء آخر؟" كريم (يضحك بخفة): "أنت تعرفينني يا زينة. نحن مجرد صديقين. نورة طبيبة رائعة، لكن قلبي معك، ألم تعرفي هذا بعد؟".

زينة (تشعر بالغيرة، ولكن تحاول التماسك): "لكن ألا تلاحظ أنك تتحدث عنها كثيرًا؟ لا أريد أن أكون تلك الفتاة الغيور، لكن يبدو أنك أصبحت تعتمد عليها بشكل أكبر من المعتاد".

كريم (يبدأ بالشعور بالإحراج): "أنتِ غالية عندي، وزينة حياتي. نورة فقط تقدم الدعم في وقت صعب، لا أكثر".

زينة (بنبرة متزايدة التوتر): "أعلم، لكن لا يمكنك أن تنكر أن علاقتكما تغيرت. إنها ليست مجرد طبيبة تعالج مرضاها".

بينما كانت زينة تشعر بالغيرة من نورة، كانت نورة تدرك في البداية أنه اهتمام إنساني وصداقة لا أكثر، ومع مرور الوقت بدأت مشاعرها تخفق نحو كريم.

نورة (في حوار خاص مع كريم، في المستشفى): "كريم، أعلم أنك ملتزم بزينة، لكنني أرى كيف تشعر بالراحة معي. أليس كذلك؟".

كريم (بحذر): "نورة، أنت صديقة عزيزة، ولا أنكر أنني أشعر بالراحة معك، لكن... قلبي مع زينة".

نورة (تبتسم بهدوء): "أعرف، لكن هناك فرقًا بين القلب والعقل. هل فكرت في أن العلاقة التي تربطك بزينة قد لا تكون كما كانت؟!". كريم (بتردد): "أحيانًا أفكر في ذلك... لكنني لا أستطيع أن أتخلى عنها. زينة جزء كبير من حياتي".

بعد عودة كريم إلى الدوحة، شعرت زينة بأن هناك مسافة بينهما، وكأن حضور نورة كان لا يزال قائمًا، حتى وإن لم تكن موجودة فعليًا.

زينة (في مواجهة بينهما): "هل ما زلت تتواصل مع نورة؟!". كريم (محاولًا التخفيف من الأمر): "أحيانًا، نعم. إنها صديقة جيدة، وقدمت لي دعمًا كبيرًا". زينة (بحزم): "لكن هذه الصداقة بدأت تؤثر على علاقتنا. أشعر أنك لم تعد كما كنت. هل لديك مشاعر تجاهها؟".. كريم (بصدق): "لا، زينة. لم يكن الأمر كذلك أبدًا. لكن يجب أن أكون صريحًا، نورة قدمت لي الدعم في وقت صعب، وربما اعتمدت عليها أكثر مما ينبغي". زينة (بحزن): "أعلم أنني كنت بعيدة في بعض الأحيان، لكنني هنا الآن. أريد أن نحمي ما بيننا". كريم (بنبرة صادقة): "أنتِ دائمًا في قلبي، زينة. لكننا بحاجة إلى أن نكون أكثر وضوحًا بعضنا مع بعض. ربما

تغيرت بعض الأمور، لكنني ما زلت أريد أن ننجح".

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

الرياض

"وفاتنةٌ أنتِ مثل الرياض

ترقُّ ملامحها في المطر

وقاسيةٌ أنتِ مثل الرياض

تُعذِّبُ عشَّاقَها بالضجر

ونائيةٌ أنتِ مثل الرياض

يطول إليها.. إليكِ.. السفر". غازي القصيبي

دُعي كريم كمتحدث رئيس في مؤتمر كبير لريادة الأعمال في مدينة الرياض. المؤتمر ضخم، ويجمع نخبة من رجال الأعمال والشخصيات المؤثرة. كان كريم قد انتهى من إلقاء كلمته واستعد لمغادرة المسرح حين رأى رجلًا طويل القامة، بملامح هادئة تخفي خلفها الكثير من الغموض. هذا الرجل لم يكن سوى علاء، خطيب زينة السابق، الذي كان يختفي في الظل منذ فترة، لكنه ظهر فجأة في هذا الحدث. لكن هذه المرة، الأمور لم تكن كما كانت من قبل.

كريم (بنظرة ثابتة ونبرة باردة): "كنت أعرف أننا سنتقابل في النهاية، علاء". علاء (مستغربًا): "هل تعرفني؟! هل سبق والتقينا من قبل؟" كريم: "أعرفك، هناك شخص جمع بيننا، زينة، أتعرفها؟!" علاء: "لم أتوقع أن نجتمع، لكن القدر دائمًا يحمل لنا لقاءات غير متوقعة".

كريم (بابتسامة متكلفة): "أفضل مما تتوقع. وأعتقد أن الوقت قد حان لوضع بعض الأمور على الطاولة".

تقدم علاء بخطوات ثابتة وكأنه يحاول إظهار الهدوء، لكن التوتر كان واضحًا في عينيه. كريم لم يكن ذلك الرجل الذي يمكن اللعب معه بسهولة. علاء (يحاول الحفاظ على رباطة جأشه): "أنت تبدو واثقًا جدًا. لكن الحياة ليست دائمًا كما تبدو. تعرف!!، الماضي لا ينتهي بسهولة". كريم (ناظرًا مباشرة في عينيه): "نعم، الماضي لا ينتهي بسهولة.. لكن الخطأ لا يُغفر بسهولة أيضًا. الحادث الذي دبَّرته، محاولًا القضاء عليَّ وعلى زينة.. والتهديدات التي كان يرسلها أحد معاونيك... لن يمرَّا مرور الكرام". توقف علاء فجأة، وكأن الوقت قد توقف لبرهة. لأول مرة، تظهر علامات الصدمة الحقيقية على وجهه. كان واضحًا أن كريم يعرف كل شيء. علاء (بمحاولة يائسة للتماسك): "حادث؟ لا أعرف عمَّ تتحدث".

كريم (بهدوء مميت): "لا تحاول الإنكار. لدينا الأدلة، الرجل الذي كان في السيارة الثالثة صور كل شيء. كل شيء تم تسجيله، وكل الأدلة ضدّك الآن في يد الأمن". علاء (يحاول التراجع): "أنت.. لا تعرف ما الذي تتحدث عنه. لم أكن خلف أي حادث". كريم (بنبرة مملوءة بالثقة): "أتعرف؟ حتى لو حاولت الإنكار، الأمر

خرج من يدي الآن. الملف بكامله، الأدلة، الفيديو، شهادة السائق، كلها ستسلم للإنتربول الدولي. ولن تخرج بسهولة من هذا المأزق. لقد تجاوزت الحدود".

علاء (بقلق واضح، يحاول التملص): "توقف! أنت تضخم الأمور. كانت مجرد... ربما سوء تفاهم. لا داعي لتسليم الملف للإنتربول".

كريم (بهدوء قاتل): "سوء تفاهم؟! لقد كنت تخطط لقتلي، وترك زينة تواجه مصيرًا مجهولًا. وهل تعلم ما هو الأسوأ؟ أنك لم تستطع إتمام مخططك بنجاح. والآن، سأتثبّت من أنك ستدفع ثمن ذلك". علاء (محاولًا التفاوض): "اسمع، يمكننا حل هذا بدون تصعيد الأمور. هناك طرق أخرى. المال... الحماية... يمكنك الحصول على كل ما تريده".

كريم (يرفع حاجبيه بسخرية): "المال؟ الحماية؟ أنت لا تعرفني جيدًا إذًا. أنا لا أُشترى ولا أُباع. القانون سيتعامل معك، ولن يكون هناك مجال للهروب".

أدرك علاء أن اللعب انتهى. لا مزيد من التفاوض، لا مزيد من التهديدات. كريم لم يكن الرجل الذي يمكن تخويفه أو شراؤه. لكن علاء، رغم التوتر والقلق اللذين بدأا يسيطران عليه، حاول استخدام آخر أوراقه.

علاء (بمحاولة يائسة): "أنت تعرف زينة جيدًا. هل تعتقد حقًا أن هذا كان قراري وحدي؟ زينة لعبت دورًا في كل شيء، ربما أكثر مما تعتقد".

كريم (بغضب يتسلل إلى نبرته): "لا تلعب بهذه الورقة، علاء. زينة ليست جزءًا من مكايدك. وكل ما تفعله الآن هو محاولة بائسة للتهرب من مسؤوليتك".

علاء (متهكمًا): "ربما... لكن الحقيقة دائمًا معقدة أكثر مما نعتقد".

كريم (بحزم): "الحقيقة بسيطة جدًا. حاولت إبعادي عن حياتها، وحاولت القضاء علينا. والآن، ستدفع الثمن".

غادر علاء المؤتمر بسرعة، وكأنه أدرك أن كل شيء قد انتهى. كانت كل خطوة يخطوها تثقل عليه، وكأنه يحمل عبء الجريمة التي حاول إخفاءها. أما كريم، فقد بقي في مكانه للحظة، وهو يشعر بالرضا لأنه لم يترك لعلاء فرصة للهروب من العقاب.

أخذ نفسًا عميقًا، وشعر أن الثقل الذي كان يحمله منذ فترة قد بدأ يتلاشى. كان يعلم أن الطريق لم ينته بعد، ولكن المواجهة التي خاضها الآن كانت نقطة تحول. لقد وضع حدًا لمحاولات علاء المستمرة لتدمير حياته وحياة زينة.

كريم (لنفسه): "العدالة أحيانًا تأتي ببطء، لكنها تأتي في النهاية".

عيد الأضحى

التقيتُ كريم يوم عيد الأضحى وكانت غيمة كآبة تطوق عينيه.. إذ إنَّ العواصف بينهما كانت شديدة، خصوصًا بعد تلك الرسائل التي صغتها له.. وفجأة تغير وجهه وابتسم، قلت له: "أكيد زينة أرسلت تهنئة العيد"، فتح الجوال ليريني رسالتها: "اشتقت لك حبي، أنت عيدي". وكالعادة كريم يغفر ويسامح، قلبه الطيب، لا يحمل الحقد، ولا الضغينة.

دائمًا تناديه "حبي". ذلك اللقب يحمل معه سحرًا لا يفارقه. كلما نطقت به، أشعرتهُ بأنه الوحيد في هذا العالم. تلك الكلمة التي تبدو بسيطة في ظاهرها، تشبه الموج الذي لا يتوقف عن الاندفاع نحو الشاطئ.

كان يُسكره سماع تلك الكلمات من فمها، يشعر وكأن قلبه يرفرف، وكأن العالم بأسره يتوقف للحظة واحدة، تاركًا إياهما وحدهما في فضاء مليء بالحنين والشوق. كلماتها تلك جعلته يشعر بأن روحه تحلّق فوق السحاب، تلمس النجوم، وتضيء السماء بوهج لا يمكن وصفه. كان يعلم في تلك اللحظة أن الشوق الذي يربطهما أقوى من المسافات، وأن كلماتها البسيطة كانت كافية لتمحو كل عوائق الحياة، وتعيد له روحه التي كان يفتقدها.

كانت تلك التهنئة تعدل كل تهاني العيد. في تلك اللحظة، أدرك كريم أن العيد ليس فقط فرحة اللقاء بالأحبة والأصدقاء، بل هو لقاء الأرواح التي تشتاق وتتوق بعضها إلى بعض، تلك اللحظات التي تجعل القلب ينبض بالحياة مجددًا.

اتفقا على اللقاء في مساء ذلك اليوم. التقث أعينهما عندما دخلت زينة المقهى. اقتربت بابتسامة، كريم يعلم أن هناك حديثًا لا مفرَّ منه. جلسا معًا في هدوء، كل منهما يعلم أن تلك الجلسة ستكون حاسمة.

زينة بدأت الحديث بصوت خافت: "كريم، أعلم أن الأمور كانت صعبة بيننا في الفترة الأخيرة، وأنا أقدّر صبرك عليَّ. لكننا بحاجة إلى وضع كل شيء على الطاولة الآن".

نظرَ إليها كريم، وعيناهُ تحملان مزيجًا من الحب والألم: "زينة، لقد مررنا بالكثير، وتعلميني جيدًا. لست الشخص الذي يحب المشكلات والعتاب كثيرًا، لكنني أيضًا لست من يتجاهل ما يحدث. أريد أن أفهم، ماذا حدث لنا؟! أين ذهبنا؟!".

تنهدت زينة وقالت: "لم أقصد أن أبتعد عنك. لكن أحيانًا أشعر أنني تائهة، لا أستطيع التواصل معك كما كنتُ أفعل من قبل. ربما كان السفر هروبًا مني، لكنني احتجت مساحة لأستعيد توازني".

كريم استمعَ بصمتٍ للحظات، ثم قال: "زينة، كنت أعتقد أن الحب بيننا يكفي، لكن الآن أشعر أن هناك فجوة بيننا تكبر يومًا بعد يوم. تلك التهنئة التي أرسلتها لي...: "اشتقت لك حبي"... أحيانًا أشعر أنها مجرد كلمات. هل ما زلتِ تعنينها؟!".

نظرت زينة إلى عينيه مباشرة، وأجابته بصدق: "كريم، أعني كل كلمة قلتها. لكنَّ الحب بالنسبة إليَّ أصبح مشوشًا، كأنني لا أستطيع أن أجد طريقي. أنت دائمًا تسامح وتغفر، وهذا يجعلني أشعر بالذنب أكثر".

صمت كريم قليلًا، ثم قال بنبرة حازمة: "زينة، الحب ليس مجرد كلمات نرسلها في تهنئة العيد. هو أفعال وتضحيات، هو الوقوف بعضنا بجانب بعض في اللحظات الصعبة. في الأيام التي قضيتها في المستشفى، كنت أحتاجك بجانبي، لكنكِ اخترت الابتعاد".

زينة، وملامحها تحمل ندمًا واضحًا، أجابت: "أعلم ذلك، وأنا أتحمل مسؤوليتي. لم أكن الشخص الذي كنتَ تحتاجه في تلك اللحظة، ولكنني أريد أن أحاول مجددًا. أريد أن أصلح ما بيننا".

هزَّ كريم رأسه وقال بصوت هادئ: "المسألة ليست في المحاولة يا زينة. المسألة هي هل نستطيع أن نكون ما كنَّا عليه؟ هل تستطيعين أن تبني معي ما كسرناه؟ لأنني بصراحة، لا أعلم إن كنت أستطيع تحمل المزيد من الألم؟!".

نظرت زينة إلى الأرض للحظة، ثم رفعت رأسها وقالت: "أعلم أنني خذلتك، لكنني لا أريد أن أفقدك. أنت أكثر من مجرد حب في حياتي. أنت الأمان والسكينة اللذان أبحث عنهما. هل يمكننا أن نبدأ من جديد؟!".

كريم، وقد شعر بعمق ما تحمله كلماتها، نظر إليها وقال: "لن أكذب عليك، لست واثقًا. لكنني مستعد لأن أرى. إذا كنتِ صادقة فيما تقولينه، فسأعطي هذه العلاقة فرصة أخرى".

هزت زينة رأسها بالموافقة، وقالت: "أعدك أنني سأتغير".

ابتسم كريم ابتسامة صغيرة وقال: "فلنجعل هذه المرة مختلفة".

لحظات من التجلي

"القنديل الذي سترى في ضوئه نور العالم، عليك أن تشعله بنفسك". إبراهيم نصر الله

التجلي الأول:

في إحدى الليالي الهادئة، بعد أن تصالحا، كانت زينة تعاني من أرق على غير عادتها، فقلّما كانت تعاني الأرق، على عكس كريم الذي كان يأرقُ بشكلٍ متكرر. بينما كان كريم يحاول أن يستغرق في النوم بجانبها، سمع صوتها ترتل آيات من سورة طه. لم يكن الأمر مجرد قراءة عادية، بل كان لكل حرف منها صدًى يأتي من أعماق روحها، وكأنها تعيش كل كلمة من تلك الآيات.

لم يسمع من قبل تلاوة كهذه، كان صوتها يغمر المكان بقدسية لا يمكن تفسيرها. كل كلمة كانت تخرج منها تحمل معها طاقة روحانية نابعة من قلب خاشع، وصدى تلاوتها يتردد في أرجاء الغرفة كأنها تُحيي كل ما يلامسه الصوت.

اهتزّ قلبه، شعر بأن تلك اللحظة أخذته إلى مكان آخر، بعيدًا عن الواقع، حيث لا يوجد سواه هو وصوت زينة، كل حرفٍ من القرآن جعله يشعر بروحانية وصفاء لم يعرفهما من قبل. تلاوتها كانت شجية، مليئة بالتأمل والتسليم، لدرجة أن كريم لم يستطع سوى البقاء صامتًا في مكانه، مأخوذًا بتلك اللحظة التي جمعت بينهما في حضرة كلمات الله.

كانت تلك الليلة واحدة من الليالي التي شعر فيها كريم بأن زينة ليست مجرد شريكة حياته، بل هي روح تحمل معها شيئًا مقدسًا، شيئًا يتجاوز كل ما عرفه عنها. تلك التلاوة الشجية كانت بمثابة رسالة من السماء، تضرب في أعماق قلبه، وتحيي فيه مشاعر لم يكن يدرك وجودها.

التجلي الثاني:

عندما تقدح شرارة التجلي في خيال زينة، تأخذك إلى عوالم أخرى، تحلق بك فوق الغيم، تنسج لك أحلى الأمسيات. في تلك اللحظات، تبدو وكأنها تلامس النجوم، تطارد الضوء الذي يأتي من بعيد، وتخلق عالمًا خاصًا بها، حيث يكتسي كل شيء سحرًا، وألقًا وحنانًا .

تحب ضوء المساء الخافت، ذلك الضوء الذي يكسر الظلام دون أن يُفقد الغرفة هدوءها. في طقوسها الخاصة، كانت زينة تجسد أنوثتها وعفويتها، تتواصل مع ذاتها ومع الكون من حولها.

وفي أحد تلك التجليات المميزة، ارتدت قميص كريم الأبيض، ذلك القميص الذي يحمل رائحته، كما اعتمرت قبعته التي تتناسب مع ملامح وجهها الناعمة، وساعته الروليكس التي أضافت لمسة من الأناقة إلى حضورها. فتحت مكبر الصوت، وأطلقت العنان لصوت أندريا بوتشيلّي، الفنان الإيطالي الشهير، يغمر

المكان بأغنية "Quizás, Quizás, Quizás"، وكأن الكلمات كانت تتحدث عن عمقها وعمق علاقتها بكريم.

Siempre que te pregunto

Que cuándo, cómo y dónde

Tú siempre me respondes

Quizás, quizás, quizás

Y así pasan los días

Y yo desesperando

Y tú, tú contestando

دائمًا عندما أسألك

متى، كيف وأين

تجيبين دائمًا

ربما، ربما، ربما

وهكذا تمر الأيام

وأنا أزداد يأسًا

وأنتِ، أنتِ تردين

ربما، ربما، ربما

أنتِ تضيعين الوقت

تفكرين، تفكرين

وبكل ما تشتهين..

زينة، وهي تترك جسدها يتحرك بتناغم مع الموسيقى، ترفع قدميها بخفة، تسمح لروحها بالانطلاق بحرية. كانت تتحرك برشاقة، وكأنها قطعة من السحر تتراقص في الضوء الخافت، بينما كريم يجلس هناك، ينظر إليها بعينين مملوءتين بالحب والإعجاب.

كانت تلك اللحظات تعبيرًا عن تجلي زينة الكامل، تلك الأوقات التي يشعر فيها كريم بأنه يعيش في عالم آخر، بعيدًا عن الواقع، حيث كل التفاصيل – من حركة جسدها، إلى رائحة عطرها، إلى النغمات التي تملأ المكان – تشكل لوحة متكاملة من الجمال والجاذبية.

كريم كان منتشيًا بجمال كل شيء، بجمال اللحظة، بجمال زينة وهي تتألق أمامه. لم يكن يستطيع أن يجد الكلمات لوصف ما يشعر به. كانت تلك اللحظات أشبه بحلم لا يرغب في الاستيقاظ منه، حلم غمره في سكر الجمال بكل تفاصيله.

لطالما حلم كريم سابقًا في خياله بلحظات تشبه تلك اللحظات، كان يحلم كثيرًا، ولكن يقول في نفسه: أن تجد فتاة تأخذك إلى تلك العوالم، إلى تلك المسافات الشاسعة من الألق والمتعة والنور والوهج، شيء شبه مستحيل.

كانت تبدأ بعناية فائقة، بنظرة أو لمسة، وتستمر حتى تغمر كريم تمامًا في حضورها. في تلك اللحظات، كانت تبدو وكأنها تعطي كل ما لديها وأكثر، تعطي بحب وكرم يتجاوزان حدود العقل. تناغم لا مثيل له بين جسدين، ولكن أكثر من ذلك، كانت روحها تلتف حوله وتحتويه بالكامل. كان يشعر أن كل شيء يتكامل، يتحول، حتى يصل إلى حالة من الاكتفاء التام، كأنه يغوص في بحر من المشاعر المتفجرة.

عطاؤها كان عطشًا للحب والحميمية، تمنحه نفسها بكل ما فيها من شغف، وفي كل لحظة، كانت تفتح بابًا جديدًا نحو عالم فقط عقله وخياله يعرفانه، وكأنها فتحت عقله وقرأت كل ما فيه. كانت تعرف كيف تجعل تلك التجليات تنمو وتزدهر، كيف تحوله من مجرد تفاعل عابر إلى لحظة سحرية، تظل محفورة في الذاكرة.

كان كريم، في تلك الأمسيات، يغرق في هذا العطاء حتى يثمل، يصل إلى حالة من الامتلاء العاطفي والحسي، وكأنه يعيش في حلم لا يريد أن يستيقظ منه. كانت تملؤه حتى التخمة، تُشبعه بحبها وحنانها، بشغفها وعاطفتها الجياشة. وفي كل مرة، كان يتمنى ألَّا تنتهي تلك اللحظات، أن يبقى هناك إلى الأبد، حيث العطاء لا ينضب، حيث الحب يتدفق بحرية.

زينة كانت تعلم جيدًا كيف تُنهي تلك الأمسيات، تجعلُ كل شيء يبدو وكأنه يتوهج حتى النهاية. كانت تعرف كيف تُرضي رغباته العميقة، وكيف تجعله يشعر بأنه قد حصل على كل ما يريد وأكثر. كانت تلك الأمسيات أشبه بحلم يتجدد في كل مرة، كأنه لا نهاية له، وكأن العطاء الذي تقدمه لا يمكن أن يتوقف.

في تلك اللحظات، لم يكن كريم يفكر في الغد، أو في العالم الخارجي، بل كان يغرق تمامًا في اللحظة، في العطاء المتواصل الذي تمنحه زينة، الذي يشبعه

حد التخمة، حتى يشعر بأنه قد حصل على كل ما يحتاجه من هذه الدنيا.

انعكاس البدايات

عودة إلى تلك البدايات، تلك اللحظات التي تدهشنا فيها الكلمات المنمقة، والتعابير الساحرة. أدار كريم شريط البدايات في رأسه، وحديثهما الأول.. عندما كان كريم يسألها عن نفسها، باحثًا عن حقيقة تكمُن خلف جمالها الظاهر. أجابت بثقة وابتسامة حالمة: "أنا قارئة نهمة للروايات. أحب أن أغرق في عوالمها وأستكشف أحاسيس أبطالها، كما لو كانت حياتهم جزءًا من حياتي".

كان حديثها عن الكتب مملوءًا بالدفء والصدق، تلك النغمة التي تلمس شيئًا حقيقيًا بداخله، وكأنها تقول له: "أنا أفهمك، أنا مثلك". شعر حينها أن شيئًا عميقًا يربط بينهما، شعر بأن لديهما عالمًا مشتركًا يمكن أن يبنيا عليه جسرًا من الحب والتفاهم.

لكن، عندما عاشا معًا أدرك كريم شيئًا غريبًا. لم تلتقط زينة كتابًا واحدًا من مكتبته، رغم أنها تزخر بالكتب والروايات والموسوعات، تلك التي تمثل انعكاسًا لعالمه الداخلي. كان كريم قارئًا نهمًا، مطلعًا على الأدب بجميع ألوانه، ومنذ صغره، كان يعتبر الكتاب نافذة إلى العالم.

بدأ يراقبها بين الحين والآخر، منتظرًا اللحظة التي قد تمسك فيها كتابًا، أو تسأله عن شيء يخص إحدى الروايات التي تزين رفوف مكتبه. لكنه لم يرَ منها تلك الرغبة.

ناقشها يومًا عن أعمال أحلام مستغانمي، إحدى كاتباته المفضلات. لكنه وجدها تجيب بكلمات سطحية، غير متعمقة. سألها عن باولو كويلو، كازانتزاكيس، وعن سلسلة مقبرة الكتب المنسية لكارلوس زافون، فبدا أن تلك الأسماء لا تعني لها شيئًا. وفي إحدى المرات، عندما تحدَّث بحماس عن كاتبه المفضل، ستيفان زفايج، وعن رواياته العميقة مثل (رسالة من مجهولة، لاعب الشطرنج، الخوف، وأربع وعشرون ساعة من حياة امرأة)، أدرك حينها أن زينة لم تكن تعرف شيئًا عن تلك العوالم الأدبية. لم تكن تلك الروح القارئة التي تماهت مع عوالم الكتب كما زعمت. كانت كلماتها في البداية، كما يبدو الآن، مجرد شباك ألقتها لتحاكي اهتمامات كريم، وليست انعكاسًا حقيقيًا لشخصيتها.

شعر كريم بنوع من الخيبة.

وعندما سألها عن اهتماماتها السياسية في تلك البدايات، زينة، بابتسامة هادئة ونبرة واثقة، قالت: "السياسة أيضًا جزء لا يتجزأ من اهتماماتي. أحب أن أكون على اطلاع دائم بما يحدث حولي، لا لأجادل، بل لأفهم العالم من حولي بشكل أعمق. لا أكترث بالمظاهر أو القشور، وأفضل دائمًا أن أعيش ببساطة وهدوء".

طوال فترة وجودهما معًا، لم تناقش زينة أي خبر سياسي أو تقم بتحليل لأحداث جارية، ولم تبدِ أي اهتمام حقيقي بما يحدث من حولها. كان كريم أيضًا شخصًا مطلعًا على السياسة، متابعًا دقيقًا لكل ما يجري في العالم، مؤمنًا أن السياسة ليست مجرد حديث سطحي، بل هي مرآة تعكس تحولات عميقة في

المجتمعات.

خلال فترة وجودهما معًا شهد العالم سلسلة من الأحداث التي هزَّت المنطقة والعالم العربي والإسلامي. كانت تلك الفترة، فترة انحطاط في القيم لا قعر لها، لم يشهد لها العالم مثيلًا. فاجعة الهجوم الإسرائيلي على غزَّة، الذي خلف عشرات الآلاف من الشهداء، حوَّل المدينة إلى كومة من الرماد. الجرحى بمئات الآلاف، والعالم يقف متفرجًا، مكتفيًا ببيانات خجولة وفارغة، باستثناء بعض المحاولات من بلده اليمن، التي أصابت أحيانًا وفشلت في كثير من الأحيان.

كانت تلك الأحداث بالنسبة إلى كريم تشكِّل لحظات مفصلية، كان يقضي ليالي كثيرة يؤرقه النوم، لحظات يجب فيها أن يتحرك العقل والروح معًا لتفهم ما يجري حولك. ومع كل هذا، كانت زينة تقف صامتة، لا تتحدث عن شيء، وكأن الأحداث التي تهز العالم تمرُّ بجانبها دون أن تلمسها. لم تناقش، لم تبدِ رأيًا، ولم تُظهر أي اهتمام.

كان ذلك الصمت بالنسبة إلى كريم مؤشرًا آخر على خدع البدايات. كيف لمن تدعي أن السياسة جزء لا يتجزأ من اهتماماتها، أن تبقى صامتة في وقت كهذا؟! كيف لها ألا تناقش أو تطرح سؤالًا أو حتى تُبدي تعليقًا بسيطًا؟!

أمَّا حديث زينة عن الصلاة، فقد كان الأكثر صدمة بالنسبة إلى كريم. قالت له بثقة عندما سألها عن روحانيتها: "والصلاة جزء أساسي من حياتي. تمنحني الطمأنينة وتعيد ترتيب فوضى أفكاري".

في البداية، لاحظ كريم غياب زينة عن الصلاة، فبدأ يلمح لها بلطف عن الأمر: "لماذا لا تصلِّين؟"، كانت ردودها في البداية هادئة، ولكن مبهمة، قالت له: "الصلاة هي رباط روحي، وهي بيني وبين الله. أنا أصلي، لكنني أصلي في السر".

لكن مع مرور الوقت، بدأ كريم يشكُّ في هذه الكلمات. كيف تصلي سرًا وهما يعيشان معًا، ولم يسبق له أن رآها تقف على سجادة الصلاة ولو مرة واحدة؟ كانت تلك المسألة تزعجه، لكنه لم يكن يريد أن يدخل في جدال يفسد علاقتهما. حاول أن يفهمها ويشرح لها بطريقة هادئة أهمية الصلاة في حياته، وفي الإسلام بشكل عام. لكنه كلما ناقشها، كانت تحتد وتغضب، وتدافع عن موقفها بطريقة مليئة بالتحفظ.

في إحدى المرات، بينما كانا في أحد المجمعات التجارية وقد حان وقت صلاة العشاء، سألها كريم إذا كانت تودُّ الذهاب إلى المصلى، فكان ردها: "المصليات ودورات المياه في المجمعات التجارية والمولات ليست نظيفة".

كريم، الذي يعرف مستوى النظافة العالي في قطر، سواء في المساجد أو في الأماكن العامة، استغرب من عذر كهذا. حاول كريم بطرق شتى أن يقنعها بأن الصلاة ليست مجرد التزام، بل هي مفتاح للسلام الداخلي، لكنها كانت دائمًا ترد بنبرة حادة: "أنا أصلي بطريقتي الخاصة، ليس عليك أن تراقبني".

مرَّت الأيام وكريم يزداد إحباطًا، ومع كل مرة يحاول فيها التحدث عن الأمر، كان يدرك أن تلك الفتاة التي أحبها لم تكن تلك الإنسانة التي رسمها في

مخيلته. كان يتمنى أن تكون شريكته في الدين والروح، وأن يجد فيها من يشاركه تلك اللحظات الروحية التي كان يراها جزءًا لا يتجزأ من حياته.

في النهاية، شعر كريم بأنه قد استسلم. قال لنفسه: "هي مسلمة راشدة، ومسؤولة عن قراراتها. كما قال تعالى: "كلّ نفس بما كسبت رهينة"".

أدرك كريم أن المسألة ليست في الصلاة وحدها، بل أحيانًا في الصدق. كانت كل تلك التفاصيل الصغيرة التي اكتشفها تباعًا تشير إلى أن البدايات التي رسمتها زينة لم تكن حقيقية، بل كانت خدعة محكمة. كلما تعمق في العلاقة، اكتشف المزيد من الاختلافات التي لم يكن قادرًا على تجاوزها. حاول بكل الطرق كي لا يخسرها، لكنه أدرك في النهاية أن خسارته قد بدأت منذ اللحظة التي اكتشف فيها خداع البدايات.

ما قبل الختام

"هناك لحظات في الحياة لا تحتاج فيها إلى المزيد من الفرص، بل إلى نهاية تريح قلبك من النزف المتكرر". باولو كويلو

عاد كريم إلى الدوحة وهو مثقل بالوجع، وكأنَّ كلَّ خطوة خطاها نحو المدينة تحمل ثقلًا لا يستطيع التخلص منه. لم يكن الألم في جسده فقط، بل في روحه المتعبة من كل ما مر به في الفترة الأخيرة. زينة، التي كانت يومًا مصدرًا للدفء، أصبحت الآن كالجدار البارد الذي يحيط به، برودها وجفافها يتسللان إلى روحه ويتركانه يغرق في بحرٍ من الصمت العقابي، دون شفقة أو إحساس.

قبل أيام، كان كريم في نيويورك للمشاركة في وقفة تضامنية أمام مبنى الأمم المتحدة مع عددٍ من النشطاء، بمن فيهم الدكتورة نورة. كانت غزة تتعرض لأبشع حرب إبادة عرقية، وتلك الوقفة كانت جزءًا من الجهود لدعم القضية. رغم حضوره الجسدي هناك، كان ذهنه مشتتًا، يفكر فيما حدث بينه وبين زينة.

في طريق عودته إلى الدوحة، كان من المقرر أن يتوقف في مطار دالاس فورت وورث لمدة ساعة، وبعدها يستأنف الرحلة التالية. كانت طائرة أمريكان إيرلاينز تتهيأ للهبوط، وكل شيء كان يبدو عاديًا، حتى لحظة الهبوط. فجأة، اهتزت الطائرة بعنف بعد ملامستها الأرض. لم يستطع قائد الطائرة التحكُّم فيها. انزلق جسم الطائرة على المدرج بشكل عنيف، مما جعل الركاب يصرخون في رعب، بينما كانت الطائرة تتجه نحو كارثة محققة.

كريم، الذي لم يكن يعرف ما يجري بالتحديد، شعر بأن النهاية قريبة، وتوقفت أنفاسه للحظات. بعد أن توقفت الطائرة، أعلمهم قائد الطائرة أن المقود تعطَّل، وكان عاجزًا عن السيطرة على الطائرة، لكن بفضل الله ولحسن الحظ، تمكنت الطائرة من التوقف دون أن تتحطم بالكامل. سيارات الإطفاء والإسعاف هرعت إلى المدرج، توقفت جميع الرحلات. تم إجلاء الركاب بحذر. كريم، رغم سلامته الجسدية، شعر بأن قلبه ما زال ينبض بقوة من الخوف.

بعد أن تحقق من أن الأمور تحت السيطرة، جلس على الأرضية الخشنة للمطار، وأخرج هاتفه. نشر فيديو قصيرًا في حسابه على الإنستجرام، قال فيه باختصار: "نجونا من حادثٍ كادَ يكون كارثيًا، الحمد لله، الأمور بخير الآن".

جرى إعلام ركاب الترانزيت أن رحلاتهم تأجلت وسوف تجري إعادة حجز رحلاتهم في اليوم التالي. كما طُلب منهم حجز الفنادق، ووعد بتعويضهم. كريم، المنهك جسديًا وعاطفيًا، فتح تطبيق بوكينج، وحجز غرفة في أقرب فندق من المطار. بعد الوصول إلى الفندق نام على الفور لأربع ساعات، استيقظ في الخامسة فجرًا على وابلٍ من الرسائل والاتصالات. أصدقاؤه وعائلته كانوا يحاولون الاطمئنان عليه. لم يستطع الرد على الجميع، فاكتفى بنشر رسالة سريعة على الإنستجرام يقول فيها: "أنا بخير، الحمد لله، الأمور مرت بسلام".

لكن، بين كل تلك الرسائل والاتصالات، كان هناك شيء مفقود... زينة. لم يكن هناك أي رسالة منها، ولا حتى اتصال. علم من خلال أنشطتها على الإنستجرام أنها شاهدت الفيديو الذي نشره، لكنها لم تكلِّف نفسها عناء الرد أو الاطمئنان. تلك اللحظة كانت أشبه بالسكين الذي غُرز في قلبه. كيف لشخص كان يظن أنه

الأهم في حياتها أن يغيب عن بالها في مثل هذا الموقف؟!

وصل كريم إلى الدوحة، اتصلت به زينة تخبره أنها ترغب في لقائه والحديث، في البداية تردد، ولكن بعد إلحاحها وافق في النهاية.. مرّ لاصطحابها من سكنها. بينما كانا ينطلقان في السيارة كانت إذاعة "مزاجي" تبث أغانيها المعتادة. انطلقت الأغنية الشهيرة: "اختياراتي مدمرة حياتي" لأحمد سعد عبرَ أثير الراديو، كلماتها تتدفق مع اللحن الذي سرعان ما جذب انتباه زينة. كانت تتمايل مع الموسيقى بطرب، وكأن الكلمات لا تعني شيئًا سوى مجرد أغنية ممتعة.

لكن كريم، وهو يجلس بجانبها، كان يستمع إلى الكلمات بشكل مختلف. شعر وكأن تلك الجمل تغوص في أعماقه، تعرّي مشاعره، وتكشف ما كان يحاول جاهدًا أن يتجاهله. كلما تردد صوت المغني، كان حدسه يصرخ في داخله: "هذه الكلمات تعنيك، هذه الأغنية ليست مجرد مصادفة".

"اختياراتي مدمرة حياتي... طب أكلم مين يلحقني"، كان يتردد في ذهنه مع كل بيت،

هو أنا مكتوب على وشي.. تعالَ اجرحني وامشي؟!

طب أكلم مين يلحقني.. وأصرفها منين معلشَي؟!

اختياراتي مدمرة حياتي.. حياتي ليه؟!

مغنطيس لناس غريبة ليه؟!.. والقلب شاف حاجات عجيبة ليه؟!

كل مرة تندهلي، وترميني في حضن المصيبة.. المصيبة ليه؟!

وكأن الكلمات تصف حالته، تصف الندم الذي في قلبه.

نظر إليها وهي تبتسم، وغرقت عيناه في تساؤل صامت. هل كانت تشعر بما أشعر به؟! أم أنها تعيش في عالم موازٍ، لا تصلها تلك النداءات الحزينة التي تهمس في أذنيه؟!

كريم، الذي كان كريمًا بطبيعته، حاول أن يمنحها فرصًا عديدة، ولكن، في قرارة نفسه، بعد كل شيء، كان يعلم أن النهاية قد اقتربت. لم يعد الأمر يحتمل أي محاولات أخرى. اتصل به صديقه الاستشاري النفسي، يطمئن على حاله واختتم حديثه، الذي كان له رأي حاسم: "النرجسيون هم أشخاص مدمرون. يتلذذون بتعذيب الآخرين. استمرارك معها سوف يدمر نفسيتك. سوف يغرقك في الوحل، ويبعدك عن أهدافك، ويستنزفك حتى لا يبقى منك شيء".

كان لتلك الكلمات وقع شديد على كريم. صديقه، الذي عرفه عن كثب، كان يرى الصورة بوضوح. لم يكن الأمر مجرد علاقة غير متكافئة، بل كان أشبه بمعركة مستمرة بينه وبين مشاعر زينة المتلاعبة، تلك التي كانت تعرف كيف تبني الحواجز بينهما بحواراتها الملتوية وألاعيبها النفسية. لقد كانت تُحكم

قبضتها عليه، ليس بالمحبة، بل بالسيطرة والعقاب العاطفي، كما لو كانت تُبقيه رهينة لرغباتها، تمارس عليه صمتها حينًا، وغضبها حينًا آخر.

كريم، كان يحتاج إلى رأي فاصل من أعزّ أصدقائه، يَزَن صديقه كما كان يسميه الأنتيم، أو توءم الروح كان يعرفه منذ سنوات طويلة، جمعتهما صداقة عميقة.

كان يَزَن أكثر من مجرد صديق؛ كان الحصن الذي يلجأ إليه وقت الشدائد، والمرآة التي تعكس له ذاته بوضوح. صداقتهما كانت كالنهر الجاري، ثابتة ونقية، لا تهتز بتقلبات الزمن. يَزَن لم يكن موجودًا فقط ليساعده، بل ليمنحه القوة ليقف أقوى بعد كل سقوط.

في كل حوار بينهما، كان كريم يشعر بأنه يتحدث إلى شخص يفهمه قبل أن يتحدث. كان يَزَن المرشد الصامت، يملأ وجوده الأمان والحب الصادق. كان يعرف متى يصمت ومتى يتحدث، ومتى يترك لكريم حرية القرار.

وفي لحظة مفترق الطرق، قال يزن بحكمة: "الأمر ليس معقدًا، يا كريم. إذا استمررت في هذه العلاقة، فستجد نفسك تائهًا في عالم لا يشبهك. أنتَ أكبر من هذا".

كانت تلك الجملة الأخيرة مثل ضوء خافت في نفق طويل. أدرك كريم أن هذا الطريق لم يكن طريقه. كان يعلم أن زينة بشخصيتها النرجسية ستظل دائمًا تتلاعب به، تحيطه بألاعيبها العاطفية، تملؤه بالحيرة والضياع. كانت النرجسية التي تمتلكها تجعله يشعر بأنها تتفوق عليه في كل شيء، بينما الحقيقة كانت العكس تمامًا. كانت تلك العلاقة تمتص روحه ببطء، وتبعده عن أهدافه وطموحاته.

التقى كريم بصديقيه القريبين، عمر، عيسى، لاحظا شروده الدائم. وهو البشوش الضحوك، الشخص الذي يتقن المزاح ويملأ المكان بالحيوية، لكن في الفترة الأخيرة، شيء ما كان قد تغير. لم يكن طبيعيًا، الشرود كان يسيطر عليه. كان عقلهُ مرهقًا وقلبه مثقلًا.

باغته عُمر بسؤاله: "كريم، ماذا بك، ما الذي غيرك؟!"، بدا وكأنه يعيده إلى أبيات كان كريم يرددها ويحبها كثيرًا من قصيدة محمد الثبيتي:

"صاحبي...

ما الذي غيرك؟!

ما الذي خدَّر الحلم في صحو عينيك؟!

من لفَّ حول حدائق روحك هذا الشَّرَك؟!

عهدتكَ تطوي دروب المدينةِ مبتهجًا، وتبث بأطرافها عنبرك!".

عيسى، دائمًا هو الأكثر هدوءًا، أضاف بنبرة هادئة: "علينا أن نجلس على قهوة في نهاية الأسبوع، ونتحدث".

كان ذلك بمثابة دعوة غير معلنة للحديث، ولم يكن كريم بحاجة إلى أكثر من ذلك. وافق على الفور، وقرروا اللقاء في أحد المجمعات التجارية.

في ذلك المساء، التقى كريم معهما أخيرًا. كان الجو مريحًا، والمكان هادئًا، كانا منعزلين في زاوية. فتح قلبه لهما، وكان بحاجة إلى ذلك.

قال له عمر: "يا كريم، أحيانًا الحياة تتطلب منا أن نختار أنفسنا أولًا. قد يكون الحب جزءًا من حياتنا، لكن يجب ألا يكون سببًا لهدمها".

أضاف عيسى، وهو يميل إلى الواقعية دائمًا: "النرجسيون، لا يغيرون أنفسهم بسهولة. إذا لم تستطع تغيير الموقف، فعليك أن تنقذ ما بقي منك".

كريم صديق عمري، جلست معه هذه المرّة جلسة جادة وكنتُ حازمًا. قلت له: زينة لم تكن فقط نرجسية، بل كانت رمزًا لكل ما يجب أن تبتعد عنه. لقد حان الوقت لتترك كل شيء وراءك.

إن الاستمرار معها لن يجلب سوى مزيد من الألم، وإن الانفصال عنها هو السبيل الوحيد لاستعادة ذاتك.

تذكر مقولة أحلام مستغانمي: "نحتاج أن نستعيد عافيتنا العاطفية كأمة عربية عانت دومًا من قصص حبها الفاشلة، بما في ذلك حبها لأوطان لم تبادلها دائمًا الحب". فقرّر أن يستعيد عافيته بطريقته.

بهذا القرار، لم يكن كريم يهرب، بل كان يختار الحرية، يختار أن ينقذ نفسه من دائرة لا تنتهي من التعذيب النفسي. أدرك أن الحب الحقيقي لا يتطلب صمتًا عقابيًا أو ألغازًا لا تُحل، بل يتطلب وضوحًا وتواصلًا واحترامًا متبادلًا. ومع هذا القرار، شعر كريم ولأول مرة منذ زمن طويل، بشيء من الراحة يتسلل إلى قلبه، كأنها نهاية لفصل كان يجب أن يُغلق منذ فترة طويلة.

النهاية.. قرار التحرر وبداية السلام

"أحيانًا، يجب علينا أن نغلق الأبواب، ليس لأننا نريد الهروب، بل لأننا أدركنا أن لا شيء يمكن أن يعيد الحياة إلى ما مضى". باولو كويلو

كريم، رغم كل الوجع الذي عاشه، لم يكن يريد أن يكون هو من يغلق الأبواب الأخيرة. كانت روحه الكريمة دائمًا تمنحه رغبة في إعطاء فرصة أخيرة، في مدّ اليد مرة أخرى على أمل أن تجد العلاقة طريقًا جديدًا. التقى بزينة مجددًا، وكان النقاش بينهما هادئًا ظاهريًا، مليئًا بالوعود المتكررة "سأحاول، سأحاول" قالت له، بنبرة تحمل مزيجًا من التردد والتمثيل.

لكنّ كريم، رغم رغبته في أن يمنحها فرصة، كان يشعر بشيء غامض في داخله، كما لو أن تلك المحاولة الأخيرة لم تكن إلا تمثيلًا آخر ضمن مسلسل من التلاعب. وفي اليوم الذي اختارته بعناية، اليوم الذي كان من المفترض أن يكون مختلفًا، نسجت زينة مسلسلًا دراميًا هابطًا يعكس حالتها النرجسية المدمرة.

اتفقت معه أنها لن تذهب إلى الدوام ذلك اليوم، وأنها ستذهب إلى المستشفى للحصول على إجازة مرضية، ثم تأتي إلى المنزل انتظرها كريم، كما وصف محمود درويش في قصيدته الشهيرة، "انتظرها":

انتظرَها كريم، جهَّز المكان لاستقبالها وكأنها عروس في ليلة زفافها. جهز رائحة البخور التي ملأت الشقة دفئًا وغموضًا. انتظرها كما ينتظر المحب الذي طال به الشوق، وهو يعلم في قرارة نفسه أن شيئًا ما قد لا يكون على ما يرام.

الوقت مرَّ ببطء، وبدأ الانتظار يثقل عليه. اتصل بها مرارًا وتكرارًا، لكنه لم يجد أي رد. وفي لحظة من اليأس، فتح هاتفه وتصفح حسابها على "تيك توك"، ليجد نفسه أمام مسرحية هزلية ساذجة جديدة، كانت زينة قد صممتها بعناية.

كتبت له في حسابها على (التيك توك)، كلامًا مليئًا بالدراما المصطنعة..

كتبت له: "لقد ذهبتُ إلى العيادة، وفجأةً التقيتُ بصديقة لي، اسمها منال، تعمل معي في الإدارة نفسها. تحدثنا قليلًا، وكنتَ محور الحديث. وفجأة قالت لي إنها زوجتك، وإنكما تعيشان معًا".

كريم، الذي كان يعرف زينة جيدًا، لم يصدق للحظة واحدة تلك الرواية. كان يعلم أنها تسعى من جديد لبناء قصة وهمية تستدرجه إلى هاوية من الشك والضياع. كتب لها: "زينة، لا وقت للمزاح. صبري وانتظاري مرهقان، والوقت لا يسمح بالألعاب".

كان يدرك أن هذا ليس سوى جزء من تمثيلية أخرى، مصممة بإتقان لتثير فيه الحيرة والقلق. ومع ذلك، قال: "إن كان كذلك، فانتظريني، سآتي إليك. أريد أن ألتقي بمنال هذه".

في قرارة نفسه، كان كريم يعلم أن لا وجود لمنال، وأن ما يحدث هو مجرد فخ آخر من فخاخ زينة. ولكنه، برغبة في تأكيد شكوكه، انطلق إلى كل المستشفيات التي كانت تزورها، اتصل بها مرة أخرى، وأخبرها: "أنا منتظرك تحت سكنك". لكن دون جدوى.

الليل كان طويلًا، وعقله مثقل بمشاعر مختلطة بين الغضب والشك. كان يدرك تمامًا أن ما يعيشه ليس إلا مسرحية هزلية سخيفة، واحدة من مسرحيات زينة المتكررة، تلك التي تُحكم نسجها لتهرب من مواجهة الحقيقة. أقسم لها إنه لا يعرف منال، وإنه يمكن أن يلتقوا جميعًا للتحدث والتحقق.

تلك الليلة كانت عصيبة حقًا، ليس بسبب حقيقة ما قالته، ولكن بسبب سخافة المسرحية الهزلية التي حاولت إيهامه بها. بعد محاولاته المتكررة للقائها أو حتى الاتصال بها، ولكن دون جدوى، شعر كريم بأن هذه المرة، هي اللحظة الحاسمة. أرسل لها رسالة صوتية بصوت هادئ، ولكنه مثقل بالخيبة: "زينة، إن كان هناك شيء تودين قوله، فأخبريني مباشرة. لا نحتاج إلى كل هذا التمثيل".

كان يعرف في تلك اللحظة أن المسرحية قد انتهت، وأنه لم يعد هناك شيء يمكن إنقاذه. كان الوقت قد حان للمغادرة.

انتظر كريم يومين، بل أسبوعين مليئين بالصمت والفراغ. لم يكن هناك أي رد من زينة، لا رسالة، لا اتصال، ولا حتى محاولة للتوضيح أو الاعتذار. كان الانتظار يثقله يومًا بعد يوم، حتى شعر بأن كل دقيقة تمرُّ وكأنها تضيف حجرًا آخر على قلبه. خلال تلك الأيام، استرجع كريم كلَّ شيء؛ كلَّ مسرحية هزلية، كلَّ لحظة برود، وكلَّ صمت عقابي. أدرك أن الوقت قد حان ليضع حدًا لكل هذا.

أمسك هاتفه بعد أن ضاق ذرعًا بالانتظار، وكأن تلك اللحظة كانت قد نضجت أخيرًا. كتب لها رسالة أخيرة، حروفها مشبعة بالتعب والحسم في آن واحد:

"زينة، لا أرغب في الاستمرار معك. قصتنا انتهت هنا. لقد أعطيتك الكثير من الفرص، وانتظرت بصبر لا حدود له، لكنني أدركت أخيرًا أن هذا الطريق لا يؤدي إلا إلى المزيد من الألم. يجب أن نغلق هذا الفصل، ونترك كل ما بيننا خلفنا. لا يمكنني أن أستمر في علاقة تستنزف روحي وتبعدني عن ذاتي. أتمنى لك السعادة في ما تبقى من حياتك، لكن رحلتي معك انتهت هنا".

كانت تلك الكلمات، رغم بساطتها، ثقيلة في وقعها. شعر كريم وهو يرسلها وكأن ثقل العالم قد أُزيح عن كتفيه، وكأن الحبل الذي كان يقيده قد انقطع أخيرًا. لم تكن الرسالة مجرد نهاية لعلاقة، بل كانت نهاية لمرحلة طويلة من الصراع الداخلي، مرحلة من الحيرة والانتظار والخسارات المتكررة.

بعد إرسال الرسالة، جلس كريم بصمت. لم يشعر بالندم، ولم يكن هناك خوف من المجهول. شعر، ولأول مرة منذ فترة طويلة، بالراحة. ربما لن يكون الطريق الذي أمامه سهلًا، وربما سيأخذ وقتًا حتى يتعافى من كل شيء، لكنه كان يعلم أنه اتخذ القرار الصائب.

كان كريم يدرك أن النرجسيين لا يتغيرون، وأن كل تلك الوعود بمحاولة الإصلاح لم تكن سوى حلقة جديدة في مسلسل لا ينتهي. كان قراره بمثابة التحرر من سجن عاطفي أرهقه لسنوات، والآن، بعد ما أغلق ذلك الفصل، كان يفتح لنفسه بابًا جديدًا نحو حياة مليئة بالسلام والوضوح.

الاغتيال

هل هناك أصعب من أن تغتالك فتاة أمازيغية من بلاد المغرب، احترفت التمثيل، وعرفت كيف تُضيء الشاشة، تسير بخطًا واثقة، وجمالها كالشمس، وجهها لوحة مكتملة التفاصيل. خلف هذا الجمال، تختبئ نرجسية لا تعرف الحدود، نرجسية تحرق كل من يخوض فيها، حتى يصبح طيفه جزءًا من عالمها الخاص، حيث لا يرى أحدًا غيرها.

وأنت، ذلك الفتى الآتي من مدينة تعز في اليمن، تحمل قلبًا طيبًا، عاطفيًا، فتًى يحمل أحلامه بين يديه، ويؤمن أن الحب هو الخلاص، يُقدّر المعاني العميقة، وتسكنه روح الحالمين، لا يعرف الزيف ولا الخداع.

لكن الحلم الذي عشتَ لأجله، تلاشى في اللحظة التي وقعت فيها في شباكها، سحرتك.. أصبحت أسيرًا في عالم لا يليق بقلبك. لقد وقعت، وأصبحت عالقًا على منصة الإعدام العاطفي، حيث المشاعر تُقطع بدقة، والحبُ يصبح سكّينًا في يدها، تُشرّح بها قلبك، تتلاعب بك، كما تتلاعب بالكلمات في مشهد تمثيلي، وكلما اقتربت منها أكثر، شعرت بالبعد الذي لا يُطاق.

لكن زينة قد احترفت التمثيل، ونرجسية تتحكم في كل خطوة تخطوها..

وأنا أتابع مجريات الأحداث بين كريم وزينة، التقيتها عدة مرات، وبخاصة عندما كانت تصل ذروة الخصام بينهما إلى مستوًى عالٍ.. كنتُ في البداية أعتقد أن كريم يبالغ أحيانًا، وعندما كنت أناقشها بشأن ما جرى بينهما، تأكد لي أنَّ صديقي يعاني جدًا، كانت محاورتها أشبه بإرجاع السيلِ إلى أعلى الجبل، صَعبةَ الإقناع، عنيدة. حاولتُ مرّات ومرّات، ولكنْ كلُّ محاولاتي كانت تنتهي عبثًا.

لذا قلمي أفلت مني هذه المرّة وتحوَّل إلى درع ونصل وسهم، إلى أداة قادرة على كشف الحقيقة وإسقاط الأقنعة. كلما جلستُ إلى مكتبي، شعرت كأني جندي في معركة، ليس معركة جسدية، بل معركة من نوع آخر، معركة العقل والنفس.

كتبت عن كل لحظة عاشها كريم مع زينة، عن كل كلمة ملفقة قالتها، وعن كل نظرة زعمت فيها الحب والاهتمام.

دفعتني رغبتي إلى قراءة كتب علم النفس حول اضطراب الشخصية النرجسية، أردت أن أكتب ليس مجرد قصة عابرة، بل أيضًا أُشرّح النرجسية كما يشرح الجرَّاح جسد المريض فوق طاولة العمليات، بحثًا عن الداء والدواء. بمهارة جراح حاولتُ أن أصل إلى عمق الألم.

أدركتُ كيف استخدمتْ جمالها كأداة فتك، كيف جعلت من تمثيلها وسيلة لتقنع كل من حولها بأنها صورة من الكمال، بينما الحقيقة كانت أبعد ما تكون عن تلك الصورة اللامعة. لم أتوقف عند السطح، بل غُصتُ في التفاصيل، حاولت كشف كل زاوية مظلمة. أدركتُ كلَّ لحظة صمت عاشها كريم وهو يحاول فهمها، وعن الانهيارات الصغيرة التي كانت تتراكم في داخله دون أن يشعر. لقد أدركتُ أن زينة لم تكن مجرد ممثلة على المسرح أو الشاشة، بل كانت ممثلة في

الحياة نفسها.

كل كلمة نطقتها، كل تصرف قامت به، كان جزءًا من مشهد، مشهد تمثيلي كبير نسجته بمهارة.

لكن الآن، كنتُ أنا المخرج، وأنا من يملك السيناريو بيده. لم تكن الكلمات مجرد حبر على الورق، بل كانت سكاكين.

كل جملة كتبتُها كانت تخترق درعها النرجسي، تشق طريقها نحو جوهرها الذي حاولت إخفاءه.

كانت نرجسيتها وقودًا يحرك قلمي، وكلما اكتشفتُ المزيد من خداعها، أصبح قلمي أكثر قوّة.

ورغم كل ذلك، لم يكن هدفي الانتقام من زينة. كان هدفي الأكبر أن أستعيد صديقي، أن أُعيد بناء روحه التي تكسرت تحت وطأة تلك العلاقة. إنَّ القوة الحقيقية تكمن في الكلمات، إن قلمي، الذي بدأ كأداة بسيطة، أصبح الآن درعًا أحمي به صديقي، وسهمًا ينطلق نحو الحقيقة.

كنت قد قرأتُ في أحد تلك الكتب المتعلقة باضطراب الشخصية النرجسية، أنَّ الرسائل تفضل أحيانًا كثيرة مع الشخص النرجسي، أكثر من الاتصال المباشر. طلبت من كريم أن يترك لي صياغة كل رسالة سوف يرسلها إلى زينة. كتبتُ عن الحُب الذي دمَّره الوهم، عن العلاقة التي تشابكت فيها الأحلام مع الكوابيس، عن خداع البدايات، عن كل شيء.

أثناء قراءتي عن تلك الظاهرة أيضًا، تألمتُ لكل ضحايا النرجسيين. لذا، كنتُ لا أقاتل فقط من أجل كريم، بل من أجل كل روح تعرضت للخداع، من أجل كل قلب تعرض للاغتيال العاطفي على يد نرجسية/ نرجسي. صحيح كانت المعركة في الكلمات، ولكن تأثيرها كان أشد قوة من أي معركة حقيقية.

انتهى،،،